العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة (٢٣)

وقعة الجمل في نهج البلاغة

د. عصري الباني

العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة ـ ٩

وقعة الجمل في نهج البلاغة

د. عصري الباني

وقعة الجمل في نهج البلاغة

■ الناشر: العتبة العلوية المقدسة

■ إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية

■ المؤلف: د. عصري الباني

■ إخراج فني: نصير شكر

■ عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

■ السنة: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

العتبة العلوية المقدسة، العراق ـ النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني :

info@haydarya.com

إلى.. تاسع الأنوار الإلهية الهادية جواد

الأئمة غريب بغداد الإمام الشهيد أبو

جعفر محمد بن علي الجواد - عليه

السلام - اهدي هذا الجهد المتواضع

راجياً شفاعته ورضاه..

المقدمة

الحمد لله الذي نصر أولياءه، وأعانهم على اتّباع الحق والعمل به بتوفيقه، وخذل أعداء دينه ومن ألحد فيه، وصلى الله على أفضل خلقه وأفضل بريته محمد وآله الطيبين الطاهرين المنتجبين، وبعد فقد كتب العديد من المؤرخين والعلماء عن واقعة الجمل وما كان بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبين الناكثين ـ عائشة وطلحة والزبير ومن معهم ـ والحرب والقتال الذي جرى بينهم بالبصرة بعد بيعة الإمام علي عليه السلام بمدة قليلة وكان سببها ما أحدثه طلحة والزبير من نكث بيعتهما التي بايعا بها أمير المؤمنين عليه السلام طائعين غير مكرهين، ثم خروجهما من المدينة إلى مكة يظهران العمرة، ثم اجتماعهما بعائشة التي كانت تراقب الوضع السياسي عن كثب في المدينة، ثم التحاق عمال عثمان الهاربين من الأمصار بأموال المسلمين بهما، وقد أجمعوا في اجتماعهم على الطلب بدم عثمان، فأجابهم إلى مرادهم الغوغاء الذين استهوتهم الفتنة وتوجههم للبصرة لان لعثمان فيها أنصار، بعدها قرر القوم التوجه إلى البصرة بعد أن زودهم يعلى بن أمية والي عثمان على اليمن الذي هرب أيضا بأموالها والتحق بهم بستمائة بعير وستمائة ألف درهم، وكذلك جهزهم غيره بمال كثير وإثبات سبب هذه الفتنة والأخبار التي جاءت فيما جرى بين القوم، من القتال والفعال.

ولكنني وجدت انه لم يأت أحد من المصنفين بذكر هذه الفتنة من وجهة نظر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بشكل مستقل الأمر الذي من خلاله نعرف الحق والحقيقة من جهة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فيه: «**علي مع الحق والحق مع علي**»[1].

ولنعلم من خلال النظر والاعتبار ونظفر بالحق ويزول عنا الاشتباه الذي يلتبس أمره على المشككين وبما أن كتاب نهج البلاغة يعتبر من أكثر كلام الإمام عليه السلام اعتبارا وفيه الكثير من الوقائع التي تبين الأسباب والوقائع والنتائج فقد اقتصرت على البحث حول هذه الواقعة من خلال ما جاء في هذا الكتاب العظيم ومن الله اسأل التوفيق والرشاد وبالله أستعين.

***

١- مجمع الزوائد ٧: ٢٣٥.

الفصل الأول

تسمية أصحاب الجمل بالناكثين

تمهيد:

علم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله من خلال الوحي أن الأمة ستتخذ الطريق المنحرف الذي سيوصلها إلى أن تخرج على وصيه وتقاتله وبالإضافة إلى إخباره عنهم فقد قام بتسميتهم وقد سماهم بالناكثين وأمر بقتالهم في العديد من النصوص منها ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية[1] بقوله: «**فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ[2] طَائِفَةٌ... كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلامَ اللهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3] بَلَى وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا[4] وَلَكِنَّهُمْ**

١- الشقشقة بالكسر: شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج . الصحاح ٤: ١٥٠٣.

٢- نكث العهد ينكثه نكثا ، أي: نقضه بعد إحكامه ، ونكث البيعة ، والنكيثة: اسمها . كتاب العين ٥: ٣٥١.

٣- القصص: ٨٣.

٤- وعى يعي وعيا: أي حفظ حديثا ونحوه . كتاب العين ٢: ٢٧٢.

حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ[1] زِبْرِجُهَا[2]»[3].

قوله: «فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ» أراد بالناكثين طلحة والزبير لأنّهما بايعاه ونقضا بيعته بخروجهما عليه وكذلك من تبعهما ممّن بايعه وسعوا في حرب دامية سميت بحرب الجمل.

وهذا الأسم ذكره الرسولﷺ وأمر الإمامعليه السلام بقتالها وهو ما أشارت العديد من الروايات نشير إلى بعضها:

١- قال أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب: (أمر رسول اللهﷺ علي بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين)[4].

٢- عن علي قال عهد إليّ رسول اللهﷺ في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، وفى رواية أمرت بقتال الناكثين فذكره[5].

٣- عن على بن ربيعة قال سمعت عليا على منبركم هذا يقول عهد إلي النبي ﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين[6].

وقد جاءت روايات بلفظ قتاله على التأويل كما قاتل رسول الله ﷺ على التنزيل:

عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن

١- راقه الشيء أعجبه . مختار الصحاح: ١٤٣ .

٢- الزبرج: الذهب . كتاب العين ٦: ٢٠٢.

٣- نهج البلاغة الخطبة: ٣ محمد عبده ١: ٣٦.

٤- مستدرك الحاكم ٣: ١٣٩.

٥- مجمع الزوائد، الهيثمي ٧: ٢٣٨.

٦- مجمع الزوائد ٥: ١٨٦.

منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا .قال عمر: أنا يا رسول الله ؟ قال: لا لكنه خاصف النعل وكان أعطى عليا نعله يخصفها[1].

قوله: «**كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلامَ الله حَيْثُ يَقُولُ: تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**». لما كانت الآية دالة على كون استحقاق الآخرة معلقا على عدم إرادة العلوّ والفساد كان اللازم على من سمعها وتدبر فيها إن كان ذا عقل أن لايريدهما، وهؤلاء الجماعة لما علوا في الأرض وأفسدوا فيها وخالفوا الإمام العادل وتركوا متابعته لا جرم شبّههم بمن لم يسمعها لما ذكرنا من أن لازمة السّماع ترك إرادتها. ثمّ دفع توهم الاعتذار عنهم بعدم السّماع لو اعتذر به بقوله: «**بَلَى وَالله لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا**» سمعوها جيدا وفهموا معناها إنهم عرب أقحاح قد عرفوا اللغة وأدركوا معناها وخصوصا أنهم عاشوا عصر النبوة ونزول القرآن.

قوله: «**وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا**». أعجبتهم زينتها فرغبوا فيها، لقد استهواهم الملك والرياسة وغرتهم الزعامة فتركوا الآية ولهثوا وراء الدنيا يريدونها فلذا نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسطت الثالثة.

***

١- مسند احمد ٣: ٣٣.

الفصل الثاني

أمر الله تعالى علياً عليه السلام بقتال الناكثين

لما كان لهذه الفرقة من خطر عظيم على الإسلام والمسلمين فقد أمر نبيه بأمر علي عليه السلام وصيه بقتالهم وهو ما أشار له عليه السلام بقوله: «**أَلا وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللهُ بِقِتَالِ ... وَالنَّكْثِ**[1] **... فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ ...**»[2].

قوله: «**أَلا وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللهُ**» وقد جاء امر الله في قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ ذكره في سورة التوبة[3] وسورة التحريم[4]، ولم يجاهد النبيّ صلى الله عليه وآله إلا الكفّار على تنزيل القرآن، وحيث إنّه عليه السلام كان بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله بمقتضى قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[5] وهي آية المباهلة وقد دلت على أن علياً عليه السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله لإجماع المفسرين ورواة الحديث على أن

١- نكث العهد ينكثه نكثا، أي: نقضه بعد إحكامه، ونكث البيعة، والنكيثة: اسمها. كتاب العين ٥: ٣٥١.

٢- نهج البلاغة الخطبة: ١٩٢ محمد عبده ٢: ١٥٦.

٣- التوبة: ٧٣.

٤- التحريم: ٩.

٥- آل عمران: ٦١.

المراد من أنفسنا هو علي عليه السلام كما أن المراد من أبنائنا الحسن والحسين والمراد من نسائنا هو الزهراء عليها السلام فجعله الله نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وهم ما رواه عامر بن سعد عن أبيه قال لما نزلت هذه الآية: **﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾**[1] دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا عليهم السلام فقال اللهم هؤلاء أهلي[2].

وحيث كان من يبغض عليا عليه السلام منافقا وهو ما أشارت له العديد من الروايات نشير إلى بعضها: عن زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال: عهد إلى النبي صلى الله عليه وآله انه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق[3].

فكان لا بد أنّه عليه السلام كان المكلف بجهاد المنافقين على تأويل القرآن.

وعلى هذا الأساس فكل من صفق على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالبيعة ثم نكث بيعته فهو مشمول بأخبار رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام بقتاله. قوله: «**فأمّا الناكثون فقد قاتلت**» عن ابن أبي يعقوب: قتل عليّ عليه السلام يوم الجمل ألفين وخمسمائة: من الأزد ألف وثلاثمائة وخمسون، ومن بني ضبّة ثمانمائة، ومن ساير الناس ثلاثمائة وخمسون[4].

***

١- آل عمران: ٦١.

٢- مسند أحمد ١: ١٨٥.

٣- مسند أحمد ١: ٩٥.

٤- تاريخ الطبري ٣: ٥٤٧.

الفصل الثالث

الناس وبيعة عليعليه السلام

تمهيد:

مما تعورف عليه في مجتمعاتنا ان الحكم يستولى عليه من قبل الانقلابات العسكرية وفي حال نجحوا في السيطرة عليها فانهم يجبرون الناس عليها ولا مجال لاحد لان يرفض تقديم الولاء للسلطة الجديدة، ولكننا نجد ان الامام امير المؤمنينعليه السلام وعندما اختارته اغلبية المسلمين لم يستخدم هذا الامر بل ترك الحق للناس بان لا تبايع.

ولقد كان المسلمون بعد مقتل عثمان يتعطشون لحكم أمير المؤمنينعليه السلام وخلافته فلذا ازدحموا عليه يبايعونه ولم يتخلف منهم ألا بضع نفر من أصحاب المصالح والمنافع أو كان في قلوبهم حقد وحسد على الإمامعليه السلام، وقد ذكر أرباب التاريخ وأصحاب السير كيف كانت بيعته وما جرى فيها وتتلخص في أن الإمام لم يرغب فيها لما يعرف من ظروفها وأحداثها وما سوف يعترض طريقه فيها وقد ذكر ابن أبي الحديد أن المهاجرين والأنصار اجتمعوا وتداولوا الأمر واستقر رأيهم على أن يولوا

الإمام عليه السلام على الناس إلا: محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد وسعد بن أبي وقاص وكعب بن مالك وحسان بن ثابت...

وقال ابن أبي الحديد: (فأما أصحابنا فإنهم يذكرون في كتبهم أن هؤلاء الرهط إنما اعتذروا بما اعتذروا به. لما ندبهم إلى الشخوص معه لحرب أصحاب الجمل، وأنهم لم يتخلفوا عن البيعة، وإنما تخلفوا عن الحرب)[1].

وقد اشارت نصوص نهج البلاغة الى الكيفية التي بويع بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

النص الأول: قوله عليه السلام في ذكر أصحاب الجمل: «**فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ**»[2].

والمقصود إظهار عذره في قتال أصحاب الجمل. وذكر احد الكبائر التي ارتكبوها والتي تستلزم إباحة قتالهم وقتلهم وهى نكثهم لبيعته وخروجهم عليه بعد الطاعة في جماعة ما منهم إلا من أخذ بيعته. حتّى مروان بن الحكم، وجيشهما وإن كان مقدار منهم من مكّة ومقدار منهم من البصرة، وهم لم يحضروا بيعته عليه السلام، إلا أنّ عمّاله عليه السلام كانوا أخذوا منهم البيعة.

النص الثاني: ومن خطبة له عليه السلام: «**فَتَدَاكُّوا**[3] **عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ**

١- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٤: ٩ - ١٠.

٢- نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٢، محمد عبده ٢: ٨٦.

٣- تدكدكت الجبال، أي صارت دكاوات، وهي رواب من طين، واحدتها دكاء. الصحاح ٤: ١٥٨٤.

الْهِيمِ[1] يَوْمَ وُرُوْدِهَا[2] قَدْ أَرْسَلَهَا[3] رَاعِيهَا[4] وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا[5] حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ»[6].

يصف الإمام عليه السلام حال بيعته وكيف اجتمع الناس عليه وازدحموا لمبايعته وقد شبههم بالجمال التي حلّ راعيها عقالها وأرسلها نحو مشربها المعدّ لها فإن من رأى ذلك رأى شيئا عجيبا في المسابقة والتدافع من أجل الوصول إلى الماء، وقد كان المسلمون بعد مقتل عثمان يتعطشون لحكم الإمام وخلافته فلذا ازدحموا عليه يبايعونه ولم يتخلف منهم ألا بضع نفر أصحاب مصالح ومنافع أو كان في قلوبهم حقد وحسد على الإمام ويصف ذلك الازدحام بحيث بلغ مبلغا ظن أنهم سيقتلونه أو يقتل بعضهم لبعض عنده وهو تصوير لمدى اندفاع الناس ومسارعتهم إلى بيعته.

النص الثالث: ومن كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة: «**وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا[7] وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى**

١- الهيمان: العطشان . كتاب العين ٤: ١٠١.

٢- وردت الماء أرده ورودا ، إذا حضرته لتشرب . النهاية في غريب الحديث ٥: ١٧٣.

٣- أرسل الشيء: أطلقه وأهمله . لسان العرب ١١: ٢٨٥.

٤- رعى يرعى رعيا. والرعي: الكلأ. والراعي يرعاها رعاية إذا ساسها. كتاب العين ٢: ٢٤٠.

٥- الثناء: ثني عقال البعير ونحوه إذا عقلته بحبل مثني، وكل واحد من ثنيه فهو ثناء. كتاب العين ٨: ٢٤٤.

٦- نهج البلاغة، الخطبة: ٥٤ ، محمد عبده ١: ١٠٣.

٧- كففت الثوب، أي خطت حاشيته، وهي الخياطة الثانية بعد الشل. الصحاح ٤: ١٤٢٢.

حِيَاضِهَا[1] يَوْمَ وِرْدِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ[2] وَسَقَطَ الرِّدَاءُ[3] وَوُطِئَ[4] الضَّعِيفُ وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ[5] بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ[6] إِلَيْهَا الْكَبِيرُ وَتَحَامَلَ[7] نَحْوَهَا الْعَلِيلُ[8] وَحَسَرَتْ[9] إِلَيْهَا الْكِعَابُ[10]»[11].

وهذا الكلام منه عليه السلام في وصف بيعته يتوجه به إلى الناكثين كي يكفوا لأن من تمت له البيعة بهذه الطريقة لم يكن لأحد أن يخرج عليه أو

١- الحوض: مجتمع الماء، والجمع أحواض وحياض. لسان العرب ٧: ١٤١.

٢- النعل: ما جعلت وقاية من الارض. نعل ينعل نعلا ، وانتعل بكذا: إذا لبس النعل. كتاب العين ٢: ١٤٢.

٣- الرداء: من الملاحف، وقول طرفة:

ووجه كأن الشمس حلت رداءها عليه ، نقي اللون لم يتخدد

لسان العرب ١٤: ٣١٦.

٤- الوطئ: بالقدم والقوائم، تقول: وطأته بقدمي إذا أردت به الكثرة، ووطأت لك الامر، إذا هيأته، ووطأت لك الفراش، وقد وطؤ يوطؤ وطأ ووطاءة. كتاب العين ٧: ٤٦٧ .

٥- ورجل بهج أي: مبتهج بأمر يسره، والمرأة بالهاء، وقد بهجت بهجة وهي مبهاج قد غلبت عليها البهجة، وقد تباهج الروض إذا كثر النور قال: نوارها متباهج يتوهج. كتاب العين ٣: ٣٩٤ .

٦- الهدجان: مشية الشيخ، ونحوه. كتاب العين ٣: ٣٨٥ .

٧- تحامل في الأمر وبه: تكلفه على مشقة وإعياء. لسان العرب ١١: ١٧٦ .

٨- العليل: المريض. كتاب العين ١: ٨٨ .

٩- الحسر: كشطك الشيء عن الشيء . يقال: حسر عن ذراعيه، وحسر البيضة عن رأسه، وحسرت الريح السحاب حسرا. كتاب العين ٣: ١٣٣ .

١٠- الكعاب بالفتح: الكاعب، وهى الجارية حين يبدو ثديها للنهود. الصحاح ١: ٢١٣.

١١- نهج البلاغة، الخطبة: ٢٢٩، محمد عبده ٢: ٢٢٢.

ينكث بيعته.

قوله: «**وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا**» بيّن أنهم أخذوا يده فبسطوها للبيعة فكان يمتنع عنها وكانوا يمدونها وهو يقبضها كناية عن امتناعه وعدم رغبته بالخلافة لأنه يعلم ما سيجري ويحدث ولكنهم رغم امتناعه ورفضه ازدحموا عليه ازدحاما شديدا يدفع بعضهم بعضا وقد شبههم بما يرونه، شبههم بالإبل العطاش التي سرحت يوم شربها فإنها تزدحم ويدفع بعضها بعضا كل واحد يريد الوصول إلى الماء والارتواء منه وأخذ نصيبه.

قوله: «**حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَسَقَطَ الرِّدَاءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ**». فقد اجتمعوا على الإمام عليه السلام كل يريد أن يصل إليه ليبايعه ويصفّق على يمينه حتى بلغ من شدة الإزدحام أن انقطع الحذاء لأن بعضهم يدوس على أرجل البعض وسقط الرداء بحيث اشتغل كل بنجاة نفسه من هذا الازدحام فأدى إلى سقوط الرداء وبلغ من اشتغال الناس وازدحامهم أنهم لم ينتبهوا إلى الضعيف فوطئ وديس وهذا لا يكون إلا عند الاضطرار وعدم الانتباه من أجل أمر مهم.

قوله: «**وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ**» وهذا خروج عن العادة وأن من لا يهمه ذلك ومن ليس من شأنه كالصغير فإنه فرح ببيعة الإمام وانشرح لها وتحرك نحوها الهم الكبير الذي لا يستطيع المشي إليها إلا بمشقة لفرحه وسروره مشى متحملا المشقة والتعب وحتى

المريض تحامل على نفسه وتكلف المجيء للبيعة رغبة في إتمامها لأهلها وحتى الصبايا اللاتي من شأنهن الستر والعفاف حسرن فرحا بذلك ورغبن فيها. وإذا كان كل هؤلاء قد أقدموا على البيعة وفرحوا بها فحق أن لا يخرج أحد عليها أو ينكثها ولكن القلوب المريضة مهما جئتها بألف آية وآية تبقى على مرضها ولن يشفيها إلا حد السيف.

النص الرابع: قوله عليه السلام: «**فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ[1] الْمَطَافِيلِ[2] عَلَى أَوْلادِهَا تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ قَبَضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُمُوهَا وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَذَبْتُمُوهَا[3] اللهمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي وَنَكَثَا بَيْعَتِي وَأَلَّبَا[4] النَّاسَ عَلَيَّ فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا وَلا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا[5] وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلا وَعَمِلا وَلَقَدِ اسْتَثَبْتُهُمَا[6] قَبْلَ الْقِتَالِ وَاسْتَأْنَيْتُ[7] بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ[8] فَغَمَطَا النِّعْمَةَ[9] وَرَدَّا الْعَافِيَةَ**»[10].

١- العوذ: الحديثات النتاج من الظباء والابل والخيل، واحدتها عائذ . الصحاح ٢: ٥٦٧.

٢- المطافيل والمطافل: جمع مطفل، وهى النوق معها أولادها. معجم ما استعجم٣: ١٠٨١.

٣- جاذبته الشيء، إذا نازعته إياه. والتجاذب: التنازع . الصحاح ١: ٩٨.

٤- ألب الإبل يألبها ويألبها ألبا: جمعها وساقها سوقا شديدا . لسان العرب ١: ٢١٥.

٥- أبرم الأمر وبرمه: أحكمه، والأصل فيه إبرام الفتل إذا كان ذا طاقين. لسان العرب ١٢: ٤٣.

٦- ثاب يثوب ثؤوبا، أي: رجع بعد ذهابه. كتاب العين ٨: ٢٤٦.

٧- يقال للمتمكث في الامر: المتأني. كتاب العين ٨: ٤٠١.

٨- الوقاع: المواقعة في الحرب . كتاب العين ٢: ١٧٧.

٩- غمط النعمة والعافية أي لم يشكرهما. كتاب العين ٤: ٣٨٩.

١٠- نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٧، محمد عبده ٢: ٢١ .

قوله : «**فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلادِهَا**» شبّه عليه السلام شوق الناس في بيعته بإبل عطاش مخلاة السرب، مطلقة العنان يوم سقيها، كيف ترد الماء، وشبّهه هنا بإبل معها أطفالها وهي قريبة العهد بالنتاج، كيف تقبل على ولدها.

قوله : «**تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ**» أي: ليس لنا همّ إلا ببيعتك ولا نرضى إلا بيعتك.

قوله : «**قَبَضْتُ يَدِي وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَذَبْتُمُوهَا**» فبايعتم عن جدّ وطوع منكم وكره وزهد منّي.

ثم قوله عليه السلام هنا: «**قَبَضْتُ يَدِي**» كقوله عليه السلام في سابقه: «**وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا**» دال على قول الإمامية: إنّ الإمامة بالنص من النبيّ صلى الله عليه وآله، لا ببيعة الناس: (وإنّ الإمام كالكعبة يؤتى ولا يأتي)، فلم يكن هو عليه السلام ولا المعصومون من عترته يكترثون ببيعة الناس لهم، وإنّما كانوا يدعون الناس أحيانا إلى أنفسهم إتماما للحجّة.

فهو عليه السلام بعد قتل عثمان يمدّ الناس يده لكي يبايعوه فيقبضها، ـ كما أنّه عليه السلام يوم الشورى يعرض ابن عوف عليه البيعة بشرط العمل بسنّة الشيخين، فيطوي الكشح عنها، دلالة على بطلان أمرهم ـ وكان الحسين عليه السلام يقول لمن تبعه: قد رفعت بيعتي عن أعناقكم. وكان الرضا عليه السلام لم يقبل ولاية عهد المأمون حتى أكرهه[1].

١- مقاتل الطالبيين: ٣٧٥ .

النص الخامس: ومن كلام له عليه السلام: «**لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً**[1] **وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً إِنِّي أُرِيدُكُمْ للهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَايْمُ اللهِ**[2] **لانْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَلاقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ**[3] **حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ**[4] **الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً**»[5].

هذا الكلام منه عليه السلام رد على بعض أصحابه الذين يريدون أن يستفيدوا من خلافته وينتفعوا من وجوده فقال لهم: «**لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً**» لم تكن بيعتكم لي فلتة أي في ساعة صعبة وبدون تفكير منكم وإدراك لما أتولاه وما أقوم به وما هو دوري فيها وعملي، بل كنتم بكامل قواكم العقلية وإدراكاتكم فلذا يجب أن تتحملوا ما أريد ولا أريد إلا الصالح العام، وهذا الكلام منه تعريض ببيعة أبي بكر التي تمت في ظروف غير اعتيادية اغتنمها أبو بكر لصالحه في غياب وعي المسلمين وعدم تماسكهم وعدم معرفتهم بما يخطط من بعض الناس للخلافة[6].

وإنما قال عليه السلام ذلك من جهة ان بيعته لم تكن محتاجة إلى قطع

١- الفلتة: الامر الذي يقع من غير إحكام، يقال: كان ذلك الامر فلتة أي مفاجأة. كتاب العين ٨: ١٢٢.

٢- أيم الله من ألفاظ القسم، كقولك لعمر الله وعهد الله، وفيها لغات كثيرة. النهاية في غريب الحديث ١: ٨٦ .

٣- الخزامة هي الحلقة التي تجعل في أنف البعير . غريب الحديث - ابن سلام ٣: ٢١٣ .

٤- المنهل: المورد حتى صارت منازل السفار على المياه مناهل. كتاب العين ٤: ٥١ .

٥- نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٦، محمد عبده ٢: ١٩.

٦- صحيح البخاري ٨: ٢٦.

الأعناق إليه، بل كانت الأعناق تتقطّع دونها، فتداكّوا عليه تداك الإبل الهيم يوم ورودها، قد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها، وأقبلوا إليه إقبال العوذ المطافيل على ولدها، حتّى كاد أن يقتل بعضهم بعضا، وحتّى شق عطفاه وحتى وطىء الحسنان عليهما السلام وكان يقبض يده فيبسطوها، ويكفها فيجاذبوها بدون غرض نفساني، بل وكان يقبض يده فيبسطوها، ويكفها يجاذبوها بدون غرض نفساني، بل لكونه أقرب النّاس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله حيّا وميّتا، وأعلم النّاس بكتابه وسنّته، وسوابقه التي لم يشاركه فيها أحد.

ثم أشار إلى المفارقة الصارخة بين ما يريد وما يريدون بقوله: «**وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً**» اذ لا جامع مشترك بينه وبينهم بل فرّقت الأهداف بينهم فهو يريدهم للّه في نياتهم وفي عملهم وفي كل حركات حياتهم وأما هم فيريدونه لأنفسهم، يريدونه لمصالحهم ومآربهم الشخصية، يريدونه من أجل منافعهم وما يعود عليهم بالفائدة وشتان ما بين الإرادتين.

قوله: «**إِنِّي أُرِيدُكُمْ للهِ**» أي إنّما أريد طاعتكم لإقامة دين الله، وإقامة حدوده.

قوله: «**وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لأَنْفُسِكُمْ**» أي لحظوظ أنفسكم من العطاء والتقريب وساير منافع الدنيا.

ثمّ لمّا وبّخهم بذلك، طلب منهم الإعانة على أنفسهم بقوله: «**أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ**» أي بالطاعة له وامتثال أوامره.

قوله: «**وَايْمُ الله لانْصِفَنَّ الْـمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَلاقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْـحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً**» أقسم بالله يمينا صادقة أنه سيأخذ

الحق من الظالم للمظلوم قهرا عنه ومهما كان الظالم متعاليا وصاحب قوة فإنه سيذلهّ بالحق الذي فرضه الله عليه ويقوده إليه حتى يورده إلى الحق والعدل وإن كان كارها للحق ورافضا له، وهل تجد قائدا في التاريخ متعصبا للحق كعليعليه السلام وهل مرّت أمامك كلمات بعمق هذه الكلمات وهل وقع نظرك على أحرف تحمل ثورة على الظالمين مثل هذه الكلمات.

النص السادس: ومن كلام لهعليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك: «**يَزْعُمُ[1] أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ[2] فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ وَإِلا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ**»[3].

قوله: «**يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ**) بايع الزبير للإمام بيعة مكشوفة رآها العام والخاص دون إجبار ولا إكراه، ولما عرف أنه لن ينال من خلافته شيئا أراد أن يهرب منها ويتهرب مما أعطاه ولكن كيف وبأي أسلوب ادعى عندها أنه بايعه بيده ولم يعقد على البيعة قلبه ويصل هذا الكلام إلى الإمامعليه السلام فيرّد عليه مبطلا دعواه مكذبا مدعاه بحجة عقلانية تبانى عليها كل الناس ومفادها ومضمونها: إن من أعطى أمرا ظاهرا من قول أو فعل يكون حجة له كما يكون حجة عليه ولا يمكن أن يخرج عنه أو

١- زعم يزعم زعما وزعما: إذا شك في قوله ، فإذا قلت ذكر فهو أحرى إلى الصواب ، وكذا تفسير هذه الآية: ﴿هذا لله بزعمهم﴾ ويقرأ بزعمهم ، أي: بقولهم الكذب . .كتاب العين ١: ٣٦٤ .

٢- الوليجة: بطانة الرجل ودخلته . قال عز وجل: ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾. كتاب العين ٦: ١٨٢.

٣- نهج البلاغة، الخطبة: ٨ ، محمد عبده ١: ٤٢.

يعتذر منه إلا إذا جاء بحجة أقوى ينفي ظهور ذلك الفعل أو القول وهـذا ما احتج به الإمام عليه حيث قال: «**فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ فَلْيَـأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ وَإِلا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ**» أقرّ بالبيعة حيث بايعه جهارا نهارا وأمام جمهور الناس فما يدعيه من أنه لم يكن مـن قلبـه فهـذه الـدعوى تحتاج إلى إثبات وإثباتها متعذر مستحيل لا يمكن إدراكه أو تحقيقه فالنـاس لها علم ومعرفة بما يقع تحت نظرها وأما ما في القلوب فـالله وحـده العـلام وإذا تعذّر ذلك فما على الزبير إلا الرجوع إلى البيعة وإبطال نقـضها. قولـه: «**وَإِلا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ**» فهو قد كان داخلا في البيعة وقد خـرج منهـا بنكثها فما عليه الآن بعد أن عجز عن إثبات ما يضمره إلا أن يعود إلى البيعة التي خرج منها.

ولو كان عليه السلام أكرههما أو لم يبايعه الزبير، كيف يخطب النّاس في مقام بعد مقام بأن بيعتي كانت بإجبار من النّاس لي، أفلم يكن أحد يقوم ويقول له: أنت أكرهت طلحة والـزبير. وكيـف ومخـالفوه كـانوا مقـرّين بـذلك، فكتب معاوية إليه عليه السلام: (ولعمري ما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة، ولا حجتك على طلحة والزبير، لأن أهل البصرة بايعوك، ولم يبايعك أحد من أهل الشام، وإن طلحة والزبير بايعاك ولم أبايعك)[1].

النص السابع: ومن كلام له عليه السلام كلّم به بعض العرب، وقد أرسـله قوم من أهل البصرة، لما قرب عليه السلام منها، ليعلم لهم منـه حقيقـة حالـه مـع

١- الامامة والسياسة ١: ٩١.

أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم، فبيّن له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنّه على الحقّ، ثمّ قال له: بايع، فقال: إنّي رسول قوم، ولا احدث حدثا حتى أرجع إليهم. فقال عليه السلام: «**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً**[1] **تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلا**[2] **وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ**[3] **وَالْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعاً؟**» قَالَ: كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى الْكَلا وَالْمَاءِ فَقَالَ عليه السلام: «**فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ**» فَقَالَ الرَّجُلُ: (فَوَاللهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ) فَبَايَعْتُهُ عليه السلام وَالرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ الْجَرْمِيِّ[4].

هذا الكلام منه عليه السلام يتضمن بيانا بوجوب اتباع الحق متى ظهرت معالمه ولا يجوز التسويف فيه أو التأخير إلى وقت آخر أو الرجوع إلى آخرين وهذا درس لكل من رأى الحق وعرفه أن يستجيب له ويقبل به فهذا الرجل: كليب الجرمي حجة على كل إنسان في زماننا وفي زماننا وفيما يأتي من الأزمنة، حجة على كل من فتح عينه فأبصر النور فارتد بغمضهما بغضا بالنور.

النص الثامن: من كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعيّ، ذكره أبو جعفر الإسكافي في كتاب (المقامات) في مناقب

١- الرائد: الذي يبعث به القوم يطلب لهم الكلأ ومساقط الغيث. غريب الحديث - ابن قتيبة ١: ٢١٤.

٢- الكلا: العشب ، رطبه ويبسه. كتاب العين ٥: ٤٠٨ .

٣- المعاطش: الارضون التي لا ماء بها. الواحدة: معطشة . كتاب العين ١: ٢٤٣ .

٤- نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٠ ، محمد عبده ٢: ٨٣.

أمير المؤمنين عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَإِنْ كَتَمْتُمَا[1] أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي وَإِنَّ الْعَامَّةَ[2] لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ وَلا لِعَرَضٍ[3] حَاضِرٍ فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللهِ مِنْ قَرِيبٍ وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ[4] بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هَذَا الأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ[5] عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا فَإِنَّ الآنَ أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ[6] مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَّعَ الْعَارُ وَالنَّارُ وَالسَّلامُ»[7].

قوله: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَإِنْ كَتَمْتُمَا أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي

١- الكتمان: نقيض الاعلان . وناقة كتوم ، أي: لا ترغو إذا ركبت ، قال: كتوم الهواجر ما تنبس.كتاب العين ٥: ٣٤٣ .

٢- العامة خلاف الخاصة. كتاب العين ١: ٩٥ .

٣- العروض: الامتعة التى لا يدخلها كيل ولا وزن ، ولا يكون حيوانا ولا عقارا . تقول: اشتريت المتاع بعرض ، أي بمتاع مثله. الصحاح ٣: ١٠٨٣.

٤- السبيل: الطريق ، يذكر ويؤنث. قال الله تعالى: (قُلْ هذِهِ سَبِيلِي). (يوسف: ١٠٨) . فانث . وقال: (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً) (الاعراف: ١٤٦). فذكر.الصحاح ٥: ١٧٢٤.

٥- تَخَلَّفَ: تأخر. القاموس المحيط ٢: ٢١٢ .

٦- العار: كل شيء لزم به سبة أو عيب تقول: هو عليه عار وشنار. كتاب العين ٢: ٢٣٩.

٧- نهج البلاغة، الكتاب: ٥٤ ، محمد عبده ٣: ١١٢.

وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي». هذا الكتاب بعث به الإمام إلى طلحة والزبير يحتج به عليهما نكثهما للبيعة ومخالفتهما له وينصحهما بالعودة إلى الطاعة والتوبة فإن ذلك وإن كان عارا فإنه أولى من العار ودخول النار معا.

يخبرهما الإمام إنه لم يطلب من الناس البيعة بل كما وردت به الروايات أنه اعتزل بعد قتل عثمان وكف يده عند ما طلب الناس منه أن يبايعوه حتى ازدحموا عليه وأصروا على استخلافه.

وعندما أصر الناس على بيعته وطلبوا منه أن يتولى الأمر أذعن واستجاب وقد بايعوه وكان ممن بايعه طلحة والزبير والتاريخ يشهد بهذا كما وأطبقت كلمة المؤرخين على أن طلحة والزبير يعلمان ذلك كله وإن كانا يخفيانه ولا يظهر انه للناس.

قوله: «**وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ**»، برهن على صحة خلافته وأن عقد الخلافة له صحيح سليم وأن هذا الأمر يكون حجة عليهما وهو أن الناس وعامة المسلمين قد بايعتني ولم تكن بيعتها لي بالقهر والقوة والغلبة ويجمعها الترهيب.

قوله: «**وَلا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ**» كما لم تكن بيعتها للمغانم والمناصب والرشوة وغيرها ويجمعها الترغيب فإذا كانت بيعة الناس لي عن طواعية واختيار ولم تكن عن قهر واضطرار فهي بيعة صحيحة شرعية تلزم جميع الناس.

قوله: «**فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى الله مِنْ قَرِيبٍ**»

فلا يخلو أمركما إما أن تكونا قد بايعتما طائعين أو مكرهين، فإن بايعتما طائعين وعن اختيار فما على من فعل ذلك ثم تمرد وعصى ما عليه إلا أن يتوب إلى الله عن هذه المعصية ويرجع إلى الله قبل أن يزداد إثما ومعصية.

قوله: «**وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ**» وإن كنتما قد بايعتما مكرهين ، فقد جعلتما لي عليكما الحجة القاطعة والسبيل الواضح أمام الناس وأمام الله لأنكما أصبحتما منافقين مخادعين تظهران الطاعة من حيث تبايعا ظاهرا وتسران المعصية والتمرد والغدر باطنا.

ثم أراد الاحتجاج عليهما أيضا بحجة أخرى بقوله: «**وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ**» وإن قلتما إنما خوفا على أنفسنا بايعنا فإن هذا ليس بصحيح لأن المسلمين المهاجرين كانوا أحق بالتقية وحفظ أنفسهم لأنهم لم يكن لهم أتباع وحاشية وجماعة تمشي خلفهم ومع ذلك بايعوا وكانوا أحق بالتقية ولم يدّعها أحد فدعوتكما لها مع ما معكما غير صحيح.

وروي أيضا أن عليّا عليه السلام خاطب بين الصفّين طلحة فقال له: أو ما بايعتني طائعا غير مكره؟ فقال طلحة: بايعتك والسيف في عنقي. قال: ألم تعلم أني ما أكرهت أحدا على البيعة، ولو كنت مكرها أحدا لأكرهت سعدا وابن عمر ومحمّد بن مسلمة، أبو البيعة واعتزلوا فتركتهم[1].

١- الامامة والسياسة ١: ٩٥ .

ثم احتج عليهما بالطريقة التي اختاراها بقوله: «**وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هَذَا الأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ**» فإن عدم بيعتكما لي من أول الأمر وعدم الدخول فيها من رأس أيسر وأسهل عليكما من هذا الخروج فكان ينبغي عليكما أن لا تدخلا ثم تحاولا الخروج لأن الخروج بعد الدخول صعب لا يقبل وليس له مبرر شرعي ولا عرفي.

قوله: «**وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ**» أحال الأمر إلى من تخلف في المدينة ممن لم يخرج معه ولا معهما فإن هؤلاء المتخلفون في المدينة يعرفون القاتل ويحكمون علي وعليكما ويجب أن يحمل كل منا ما يلزمه من هذا الأمر.

وثمّ بعد أن أقام الحجّة عليهما أمرهما بالرجوع عن رأيهما الفاسد في اختيارهما لبيعته ورغّب في الرجوع عن ذلك بقوله: «**فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا فَإِنَّ الآنَ أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَّعَ الْعَارُ وَالنَّارُ وَالسَّلامُ**» نصيحة من قلب الإمام عليه السلام لهما بالرجوع عن رأيهما في نكث البيعة وإعلان الحرب عليه فإن أعظم ما يتصوره الناس أن هذا من العار لأنهما أقدما على أمر لايجوز وفي الرجوع أمر تأنف منه النفس وقد يعيّر به المرء ولكنه أفضل من الإصرار على المعصية وارتكاب الذنب، أفضل من إكمال الشوط الضال الذي لا يجوز فالاستمرار على التمرد معصية وعار فإذا أكملا المعصية فإنهما يجمعان العار في الدنيا والنار في الآخرة وكأنه عليه السلام

يعلم مصيرهما المشئوم ونهايتهما التعيسة وقد اجتمع لهما العار والنار.

النص التاسع: قوله عليه السلام: « **فَمَا رَاعَنِي**[1] **إِلا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ**[2] **إِلَيَّ يَنْثَالُونَ**[3] **عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ**[4] **الْحَسَنَانِ وَشُقَّ عِطْفَايَ**[5] **مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ**[6] **الْغَنَمِ**»[7].

قوله: «**فَمَا رَاعَنِي إِلا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ**» والأصل في التشبيه بالعرف القرآن فقيل في قوله تعالى: ﴿**وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً**﴾[8]. انه مستعار من عرف الفرس أي: يتتابعون كعرف الفرس.

قوله: «**يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ**» فإنهما عليهما السلام كانا جالسين عنده عليه السلام، ولم يمهلوهما للنهوض فوطؤوهما كما شقوا عطفيه عليه السلام فقال عليه السلام في موضع آخر في وصف هجومهم عليه عليه السلام للبيعة: «**حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ**»[9].

١- ارتاع منه وله وروعه فتروع أي تفزع . ورعت فلانا وروعته فارتاع أي أفزعته ففزع . لسان العرب ٨: ١٣٦ .

٢- العرف: شعر عنق الفرس يقال: كثف والتف كأنه عرف الضبع. القاموس المحيط ٣: ١٧٣ - ١٧٥.

٣- انثال عليه التراب، أي انصب. يقال: انثال عليه الناس من كل وجه، أي انصبوا. الصحاح ٤: ١٦٤٩.

٤- الوطئ: بالقدم والقوائم ، تقول: وطأته بقدمي. كتاب العين ٧: ٤٦٧ .

٥- عطفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركيه . الصحاح ٤: ١٤٠٥ .

٦- الربيضة تصغير رابضة وهو الذي يرعى الغنم . لسان العرب ٧: ١٥٣ .

٧- الربيض: شاء برعاتها اجتمعت في مربضها . كتاب العين ٧: ٣٦ .

٨- المرسلات: ١.

٩- نهج البلاغة الخطبة: ٥٤ محمد عبده ١: ١٠٣.

قوله: «**وَشُقَّ عِطْفَايَ**» إشارة إلى غاية ازدحامهم عليه، وهي وطي ولديه الحسن والحسين عليهما السلام وشقّ ردائه بالجذب عند خطابه والجلوس على جانبيه.

قوله: «**مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ**» شبّه اجتماعهم حوله بربيضة الغنم ووجه التشبيه ظاهر، ويحتمل أن يلاحظ في وجه التشبيه مع الهيئة زيادة وهي أنّه شبّههم بالغنم لغفلتهم عن وضع الأشياء في مواضعها، وقلّة فطانتهم وعدم استعمالهم للأدب معه أو مطلقا والعرب تصف الغنم بالغباوة وقلّة الفطانة.

النص العاشر: ومن النصوص التي دلت على عدم إجبار الناس على بيعته أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ حَوْطٍ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : أَتَرَانِي أَظُنُّ أَصْحَابَ الْجَمَلِ كَانُوا عَلَى ضَلالَةٍ فَقَالَ عليه السلام : « **يَا حَارِثُ إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ**»، فَقَالَ الْحَارِثُ: فَإِنِّي أَعْتَزِلُ مَعَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَ عليه السلام : «**إِنَّ سَعْداً وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ وَلَمْ يَخْذُلا الْبَاطِلَ**»[1].

قول الشريف الرضي رضي الله عنه : (إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ حَوْطٍ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ أَتَرَانِي أَظُنُّ أَصْحَابَ الْجَمَلِ كَانُوا عَلَى ضَلالَةٍ) هذه شبهة دخلت في ذهن هذا الرجل لبساطته وقلة معرفته وعدم إحاطته بالأمور فهو يستنكر أن

١- نهج البلاغة، الحكمة: ٢٦٢، محمد عبده ٤: ٦٣ .

يكون أصحاب الجمل على ضلالة وردّ الإمام عليه السلام عليه بقوله: «**يَا حَارِثُ إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ**» أي نظرت في أعمال الناكثين من أصحاب الجمل المتمسّكين بظاهر الإسلام الّذين هم دونك في المرتبة لبغيهم على إمام الحقّ فاغتررت بشبهتهم واقتديت بهم.

ويحتمل أن يكون نظره تحته كناية عن نظره إلى باطل هؤلاء وشبهتهم المكتسبة عن محبّة الدنيا الّتي هي الجنبة السافلة.

قوله: «**وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ**» وهو إمامك الواجب الطاعة ومن معه من المهاجرين والأنصار ولا سمعت حكمهم بكون خصومهم على الباطل فكان ذلك سبب حيرتك.

ويحتمل أن يكون نظره فوقه كناية عن نظره إلى الحقّ وتلقّيه من الله.

قوله: «**إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ**» تفصيل لسبب حيرته فإن النّاس الذين ليس لهم معرفة كاملة يجعلون الرجال ميزان الحقّ والباطل، والواجب العكس، فقال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: «**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**»[1] وقد قال تعالى فيه صلى الله عليه وآله: «**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ. لاَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ**»[2].

فالحارث رأى أنّ عائشة يقال لها أمّ المؤمنين أخذا من قوله تعالى في

١- الزمر: ٦٥.

٢- الحاقة: ٤٤ – ٤٦.

حرمة نكاح أزواج نبيّه صلى الله عليه وآله: «النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً»[1] إلا انّه لم يلاحظ قوله تعالى: ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾[2] أيضا قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الأُولى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَه﴾[3].

كما أنّه رأى أنّ طلحة والزبير من المهاجرين، ومن ستّة الشورى، ولم يلاحظ أنّهما نكثا وأفسدا في الأرض وقتلا آلافا من المسلمين بغير حقّ، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[4]، أيضا قوله تعالى: ﴿والَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾[5]، أيضا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُوَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولئِكَ لَهُمُ

١- الاحزاب: ٦ .

٢- الاحزاب: ٣٠ .

٣- الاحزاب: ٣٣ .

٤- الفتح: ١٠ .

٥- البقرة: ٢٧ .

﴿اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[1] أيضا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾[2]، أيضا قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[3].

والحارث ونظراؤه ـ في نظرهم إلى جانب دون جانب ـ مصاديق قول أبو نؤاس:

«حفظت شيئا وغابت عنك أشياء»

ثم أراد أن يتخلّص بأسلوب آخر فقال: (فَإِنِّي أَعْتَزِلُ مَعَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ وَعَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ). أراد أنهما اعتزلا القتال واجتنبا الفتنة وعملهما هذا جيد مبرئ للذمة.

فاجابه الامام عليه السلام بقوله: «**إِنَّ سَعْداً وَعَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ**» والمتمثل بشخصه عليه السلام ففي متواتر الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «على مع الحق أو الحق مع على حيث كان»[4]. فإنهما لم ينصرا الحق المتمثل بالخلافة الشرعية ولم يدافعا عن القيادة وأهدافها أو يبينا للناس وجه الصواب.

قوله: «**وَلَمْ يَخْذُلا الْبَاطِلَ**» وهو أعداؤه عليه السلام من الناكثين والقاسطين

١- الرعد: ٢٥.

٢- الانفال: ٥٦.

٣- ص: ٢٨.

٤- مجمع الزوائد، الهيثمي ٧: ٢٣٥.

والمارقين، فإنّهما وإن لم يعاونـاهم لم يعادياهم فلـم يحـصلا مـنهما خـذلان كامل. والمسلم لا يعيش بهذه الصورة بل رسـالته توجـب عليـه أن ينـصر الحق ويدافع عنه ويخذل الباطل ويخزي النفاق فعمل الرجلين ليس شرعيـا ولا صحيحا فأنت لا يمكن أن تقتدي بهما.

النص الحادي عشر: من خطبة لهعليه السلام لمّا أريد على البيعـة بعـد قتـل عثمان: «**دَعُونِي وَالْتَمِسُوا[1] غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَـهُ وُجُـوهٌ وَأَلْـوَانٌ لا تَقُومُ[2] لَهُ الْقُلُوبُ وَلا تَثْبُتُ عَلَيْـهِ الْعُقُـولُ وَإِنَّ الآفَـاقَ[3] قَـدْ أَغَامَـتْ[4] وَالْـمَحَجَّةَ[5] قَدْ تَنكَّرَتْ[6]. وَاعْلَمُوا إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَـا أَعْلَـمُ وَلَمْ أُصْغِ[7] إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ[8] الْعَاتِبِ وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ وَأَنَـا لَكُـمْ وَزِيـراً خَـيْرٌ لَكُـمْ مِنِّـي أَمِيراً**»[9].

قوله: «**دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي**» ويحتمل كلامه عدة معان:

١- التمس الشيء وتلمسه: طلبه . لسان العرب ٦: ٢٠٩ .

٢- ما قام به: وإذا لم يطق الانسان شيئا . كتاب العين ٥: ٢٣٢ .

٣- الآفاق: النواحي ، واحدها أفق . لسان العرب ٦: ١٧١ .

٤- الغيم: السحاب غامت السماء تغيم غيومة وأغامت وأغيمت وتغيمت كله بمعنى وأغيم القوم أصابهم غيم. مختار الصحاح: ٢٥٣ .

٥- المحجة: قارعة الطريق الواضح . كتاب العين ٣: ١٠ .

٦- التنكر: التغير عن حال تسرك إلى حال تكرهها. كتاب العين ٥: ٣٥٥ .

٧- أصغيت إليه: استمعت . كتاب العين ٤: ٤٣٢ .

٨- العتب: الموجدة. عتبت على فلان عتبا ومعتبة، أي: وجدت عليه. كتاب العين٢: ٧٦.

٩- نهج البلاغة الخطبة: ٩٢ محمد عبده ١: ١٨٠ – ١٨١.

الأول: إن هذا القول منه ليس تهربا من الواقع أو رفضا لحقه المشروع وإنما ليلقي الحجة عليهم من جهة ما يقوم به في مستقبل أمره في شأنهم فيسقط احتجاجهم عليه.

الثاني: أن يكون تكلم بهذا الكلام لعلمه بما ستجري عليه الأمور من قيام الناكثين والقاسطين والمارقين بحربه فإذا التمسوا غيره ولم يجد الناصر له سقط التكليف عنه بتولي الخلافة ويكون هذا من قبيل انتفاء الحكم بانتفاء موضوعه في حقه.

الثالث: انه أراد عليه السلام أن يتعزّز ويتمنّع. والحكمة في ذلك أنّ الطالب له يكون بذلك أرغب فيما يطلب فإنّ الطبع حريص على ما منع سريع النفرة عمّا سورع إلى إجابته فيه فأراد عليه السلام التمنّع عليهم لتقوى رغبتهم إليه فإنّه لم يصل إليه هذا الأمر إلا بعد اضطراب في الدين في قتل عثمان والجرأة على الدم فاحتاج في تقويم الخلق وردّهم إلى قواعد الحقّ إلى أنّ يزدادوا فيه رغبة بهذا الكلام ومثله فقال: «**دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي**».

ثم نبّههم بعد هذه التمنّع على أنّ هاهنا أمورا صعبة مختلفة يريد أن ينكرها عليهم ويقاوم ببعضهم فيها بعضا ويحملهم على الصلاح. قوله: «**فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ لا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ**». أي لا تصبر ولا تثبت عليه العقول بل تنكره وتأباه لمخالفته الشريعة ومضادّته لنظام العالم، وذلك الأمر هو ما كان يعلمه من اختلاف الناس عليه بضروب من التأويلات الفاسدة والشبهات الباطلة كتهمة معاوية وأهل البصرة له بدم عثمان وكتأويل الخوارج عليه في الرضا

بالتحكيم ونحو ذلك، وهو المكنىّ عنه بالوجوه والألوان كناية بالمستعار.

قوله: «**وَإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَالْـمَحَجَّةَ قَدْ تَنكَّرَت**». استعار لفظ الغيم لما غشي آفاق البلاد وأقطار القلوب المتغيّرة العازمة على الفساد من ظلمات الظلم والجهل، ووجه المشابهة ما تستلزمه هذه الظلمات من توقّع نزول الشرور منها كما يتوقّع نزول المطر والصواعق من الغيم، وأشار بالمحجّة إلى واضح طريق الشريعة، وتنكّرها جهل الناس بها وعدم سلوكهم لها. فإن المستقبل مظلم معتم فيه فتن واضطرابات بل تمرد وخلاف.. فيه حروب ودماء والطريق الصحيحة السليمة قد تشوشت معالمها وطمست آثارها وضل السائرون في متاهاتها وما عليه الإمام هي المحجة والطريق ولكن للأهواء قوة في الانحراف عنها لا يقوى على مقاومتها أحد.

قوله: «**وَاعْلَمُوا إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ**». لمّا تمنّع عليهم وعلم صدق رغبتهم فيه شرع في تقرير ما يريد أن يفعله تقريرا إجماليّا عليهم ، فأعلمهم أنّه على تقدير إجابتهم إلى هذا الأمر لا يركب بهم إلا ما يعلم من أمر الشريعة ولا يصغى إلى قول قائل خالف أمر الله لمقتضى هواه، ولا عتب عاتب عليه في أنّه يفضّله أو لم يرضه بما يخالف ما يعلم من الشريعة إذ القائل والعاتب في ذلك مفتر على الله وعاتب عليه ولقد وفى عليه السلام بما وعدهم به من ذلك كما حدث في قصّة أخيه عقيل لمّا استماحه صاعا من برّ أو شعير فحمى له حديدة وقرّبها منه فأنَّ عقيل فقال له : «**ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ أَتَئِنُّ مِنْ**

حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى وَلا أَئِنُّ مِنْ لَظَى»[1]. ولفظ الركوب مستعار لاستوائه على ما يعلم.

قوله: «وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرا». أي كنت كأحدكم فى الطاعة لأميركم لعلمه بوجوب طاعته الإمام، وإنّما قال لعلّي لأنّه على تقدير أن يولّوا أحدا يخالف أمر الله لا يكون أطوعهم له بل أعصاهم واحتمال توليتهم لمن هو كذلك قايم فاحتمال طاعته وعدم طاعته له قائم فحسن إيراد لعلّ، وظاهر أنّه عليه السلام كان وزيرا للمسلمين وعضدا لهم، والخيريّة هاهنا تعود إلى سهولة الحال عليهم فى أمر الدنيا فإنّه إذا كان أميرا لهم حملهم على ما تكره طباعهم من المصابرة فى الحروب والتسوية فى العطايا ومنعهم ما يطلبون ممّا فيه للشريعة أدنى منع، ولا كذلك إذا كان وزيرا لهم فإنّ حظّ الوزير ليس إلا التشاور والرأى الصالح والمعاضدة فى الحروب وقد يخالف فى رأيه حيث لا يتمكّن من إلزام العمل.

***

١- نهج البلاغة الخطبة: ٢٢٤ محمد عبده ٢: ٢١٧.

الفصل الرابع
التمهيد للنكث بالبيعة

الدوافع المشتركة:

أشارت الروايات الصحيحة إلى تأليب عائشة على عثمان والسعي في دمه وفيها أوضح دليل على أن تظاهرها من بعد بطلب دمه ومباينة أمير المؤمنين عليه السلام وجمع الجموع لحربه والاجتهاد في نقض عهده وأمرها بسفك دمه لم يكن الباطن فيه كالظاهر بل كان لغير ذلك وإن طلحة والزبير كانا في الأول على عثمان وإنما رجعا عنه لما فاتهما مما كانا يأملانه من ذلك ولم يرجعا عنه لما أظهراه من بعد الندم على قتل عثمان والدعاء إلى قتله ولا رجعا عنه استبصارا بضلالة ما كانا يأملانه في ذلك.

وأسباب ذلك العداوة له والشنآن مع الطمع في الدنيا والسعي في عاجلها والميل للتأمر على الناس والتملك لأمرهم وبسط اليد عليهم وإن الرجلين خاصة لما أيسا من نيل ما طمعا فيه من الأمر فوجدا الأمة لا تعدل بأمير المؤمنين عليه السلام أحدا وعرفا رأي المهاجرين والأنصار فمن أرادا الحظوة عنده بالبدار إلى بيعته وظنا بذلك شركاه في أمره فلما استويا بالحال من بعد

وصح لهما رأيه عليه السلام وتحققا أنهما لا يليان معه أمراً فامتحنا ذلك مع ما غلب في ظنهما مما ذكرناه بأن صارا إليه بعد استقرار الأمر ببيعة المهاجرين والأنصار وبني هاشم وكافة الناس إلا من شذ من بطانة عثمان وكانوا على خفاء لأشخاصهم مخافة على دمائهم من أهل الإيمان.

وقد أشارت نصوص نهج البلاغة إلى هذه الحقيقة في العديد من النصوص:

النص الأول: من كلام له عليه السلام كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما، والاستعانة في الأمور بهما فقال: «**لَقَدْ نَقَمْتُمَا[1] يَسِيراً[2] وَأَرْجَأْتُمَا[3] كَثِيراً أَلا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ[4] وَأَيُّ قَسْمٍ[5] اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ وَاللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلافَةِ رَغْبَةٌ[6] وَلا فِي الْوِلايَةِ[7] إِرْبَةٌ[8] وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وَحَمَلْتُمُونِي**

١- نقم ينقم نقما ، ونقم ينقم نقما ونقيمة: أي أنكر ولم يرض. كتاب العين ٥: ١٨١ .

٢- اليسير: القليل . وشئ يسير ، أي هين . الصحاح ٢: ٨٥٩ .

٣- أرجأت الشيء: أخرته ، ومنه قول الله عز وجل في قراءة بعضهم: ﴿وآخرون رجئون لامر الله﴾. أي: مؤخرون حتى ينزل الله فيهم ما يريد . كتاب العين ٦: ١٧٤ .

٤- دفعت عنه كذا وكذا دفعا ومدفعا ، أي: منعت . كتاب العين ٢: ٤٥ .

٥- القسم: الحظ من الخير ويجمع على أقسام . كتاب العين ٥: ٨٦ .

٦- رغب عنه: لم يرده. مختار الصحاح: ١٣٦ .

٧- استولى فلان على شيء ، إذا صار في يده . كتاب العين ٨: ٣٦٦ .

٨- الارب: الحاجة المهمة، يقال: ما إربك إلى هذا الامر، أي: ما حاجتك إليه. كتاب العين ٨: ٢٨٩.

عَلَيْهَا[1] فَلَمَّا أَفْضَتْ[2] إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ الله وَمَا وَضَعَ لَنَا وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ وَمَا اسْتَنَّ[3] النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَاقْتَدَيْتُهُ فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا وَلا رَأْيِ غَيْرِكُمَا وَلا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلا عَنْ غَيْرِكُمَا . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ[4] فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي وَلا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ الله مِنْ قَسْمِهِ وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ فَلَيْسَ لَكُمَا وَالله عِنْدِي وَلا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى[5]. أَخَذَ الله بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ ثم قال عليه السلام رَحِمَ الله امْرَأً رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ أَوْ رَأَى جَوْراً[6] فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْناً[7] بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ »[8].

قوله: «لَقَدْ نَقَمْتُمَا» فإنّ الرجلين كانا يؤمّلان الأمر لنفسيهما فلمّا صار إليه عليه السلام عادا إلى رجاء أن يداخلهما في أمره وأن يزد لهما في العطاء على غيرهما كما فضّل بعض الأئمّة من قبله وأن يشاركهما في أكثر الآراء

١- حمله على الأمر يحمله حملا فالحمل: أغراه به. لسان العرب ١١: ١٧٥ .

٢- أفضى: أي صار . كتاب العين ٣: ٤٤ .

٣- أسوة: أي قدوة وائتمام . الصحاح ٦: ٢٢٦٨ .

٤- أسوت فلانا بفلان إذا جعلته أسوته. لسان العرب ١٤: ٣٥ .

٥- الإعتاب والعتبى: رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب. لسان العرب ١: ٥٧٧.

٦- الجور: نقيض العدل . وقوم جارة وجورة ، أي: ظلمة . كتاب العين ٦: ١٧٦ .

٧- كل شيء استعنت به ، أو أعانك فهو عونك . كتاب العين ٢: ٢٥٣ .

٨- نهج البلاغة الخطبة: ٢٠٥ محمد عبده ٢: ١٨٤.

المصلحيّة محبّة منهما للجاه ونظرا إلى محلّهما وشرفهما لكنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا جعل دليله الكتاب العزيز والسنّة النبويّة وكان هو القويّ على استنباط الأحكام منهما دون غيره وصاحب أسرارهما وكان أكابر الصحابة والخلفاء السابقين إليه في كثير الأحكام لهذا كله لم يكن به حاجة إلى الاستشارة فيما يقع إليه من الوقايع.

قوله: «**يَسِيراً**» أشارة إلى ترك مشورتهما وتسويتهما بغيرهما في العطاء وإن كان عندهما صعبا فهو لكونه عنده غير حقّ في غاية من السهولة.

قوله: «**وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً**» أشارة إلى ما يعود إلى صلاح المسلمين من الآراء الّتي ينبغي أن يتحدّث فيها، ويحتمل أن يريد أنّ الّذي أبدياه ونقماه بعض ممّا في أنفسهما، وقد دلّ ذلك على أنّ في أنفسهما أشياء كثيرة وراء ما ذكراه لم يقولاه.

قوله: «**أَلا تُخْبِرَانِي**» استفسار عن الحقّ الّذي نقما تركه، وأشار إلى وجوه الحقّ وجهاته المتعارفة المعتادة وهي نوعان:

الأول: أنّ الحقّ الّذي تنقمان على تركه إمّا أن يكون متعلّقا بكما وهو ما أشار إليه بقوله: «**أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ**» من الحقوق دفعتكما عنه ظلما «**وَأَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ**» وبطلان هذا الوجه مع كونه معصوما واضح، ويزيده وضوحا قوله عليه السلام: «**وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُـهَا وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا**»[1]، وقوله أيضا: «**وَاللهِ لَوْ**

١- نهج البلاغة الخطبة: ٢٢٤ محمد عبده ٢: ٢١٦.

أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُه»[1]، ومن هذا حاله كيف يتصوّر في حقّه الظلم.

قوله: «**وَأَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ**» وبطلانه أيضا واضح ويزيده توضيحا قوله: «**وَلَوْ كَانَ الْـمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْـمَالُ مَالُ اللهِ**»[2]، وما جاء في كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري من قوله: «**أَلا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ**»[3]، ومن هذا شأنه كيف يحيف الغير ويذهب بحقّه وغيره.

وبذلك يعلم الفرق بين الوجه الأوّل والوجه الثاني، فانّ الأوّل أعم من الحقّ المالي وغيره، والثاني مخصوص بالمالي، وأيضا دفع الحقّ عنهما أعمّ من أن يصير إليه أو إلى غيره أو لم يصر إلى أحد بل يبقي في بيت المال والاستيثار عليهما به هو أن يأخذ حقّهما لنفسه.

الثاني: أو أن يكون حقا من حقوق المسلمين وهو ما أشار إليه بقوله: «**أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ**» وكنت محتاجا فيه إلى المعاون والمعين وكيف يكون ذلك ولولا سيفه لما قام للإسلام عمود ولا اخضرّ للدّين عود، وهو القائل: «**وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا كَالْـجَبَلِ لا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ وَلا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَلا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْـحَقَّ لَهُ وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ**

١- نهج البلاغة الخطبة: ٢٢٤ محمد عبده ٢: ٢١٨.

٢- المصدر نفسه الخطبة: ١٢٦ محمد عبده ٢: ٧.

٣- المصدر نفسه الكتاب: ٤٥ محمد عبده ٣: ٧٠.

الْـحَقَّ مِنْه»[1]، ايضا قوله: «**وَايْمُ الله لانْصِفَنَّ الْـمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَلاقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْـحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً**»[2].

قوله: «**أَمْ جَهِلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ**» وكنت محتاجا إلى التعليم والتنبيه والفرق بين الجهل والخطاء في الباب الأوّل أن يكون الله سبحانه قد حكم بحرمة شيء مثلا فأحلّه الإمام والثاني أن يصيب في الحكم ويخطىء في طريقه والاستدلال عليه، أو أنّ الأوّل أن يجهل الحكم ويتحيّر فيه ولا يدرى كيف يحكم، والثاني أن يحكم بخلاف الواقع وعلى أيّ تقدير فتوهّم أحد الأمرين في حقّه عليه السلام، مع علمه بما كان وما يكون وما هو كائن وكونه أعلم بطرق السّماء من طرق الأرض وكونه باب مدينة العلم والحكمة وكونه أقضي الأمة على ما صدر عن صدر النّبوة وعرفته في تضاعيف الشّرح غير مرّة أوضح البطلان وفساده غنّى عن البرهان، هذا ولما أشار عليه السلام إلى بطلان وجوه النّقم المتصوّرة إجمالا أراد إبطال ما نقما به عليه تصريحا وهو ترك الاستشارة وأمر الأسوة وأجاب عن النّقم بهما تفصيلا.

والاستفهام في الأقسام كلّها استفهام إنكار لها ومستند منعه، وتلخيصه وإنكاره لها ظاهر فإنّ التسوية في العطاء سنّة الرسول فيجب إتباعها، والاستشارة في الحوادث ونحوها إنّما يجب مع عدم الحكم في الواقعة أو مع جهله ولم يكن عادما لأحكام الوقائع الواردة عليه ولا جاهلا بها، وكذلك لم يترك حقّا لأحد من المسلمين عن ضعف منه لأنّه كان

١- نهج البلاغة الخطبة: ٣٧ محمد عبده ١: ٨٨ - ٨٩.

٢- المصدر نفسه الخطبة: ١٣٦ محمد عبده ٢: ١٩.

خليفة الوقت ولا عن جهل بحكم ولا بدليله لأنّه كان أعلم الأمة بأحكام الله، ولمّا كان الّذي نقماه عليه في تلك الحال من الأقسام المذكورة إنّما هو ترك مشورتهما والسوية في العطاء بينهما وبين غيرهما أشار إلى الجواب عن الأوّل بقوله: «**وَالله مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلافَةِ رَغْبَةٌ**» فهو عليه السلام كان إماما بتعيين النبيّ صلى الله عليه وآله له من قبل الله تعالى، وليست الخلافة والسلطنة جزء للإمامة كالنبوة وإن كانت حقّها.

قوله: «**وَلا فِي الْوِلايَةِ إِرْبَةٌ**» وحاجة أمّا عدم احتياجه إليها فواضح، وأمّا عدم رغبته فيها فلكراهته لها طبعا وإن كان يحبّها شرعا أو كراهته لها من حيث الملك والسلطنة فلا تنافي رغبته من حيث التّمكن من إعلاء لواء الشرع وإقامة المعروف وإزاحة المنكر أو أنّ عدم الرّغبة حين عدم تحقّق الشرائط.

كما يشعر بذلك قوله عليه السلام: «**أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ الله عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلا سَغَبِ مَظْلُومٍ لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ**»[1].

ويشعر به أيضا قوله عليه السلام: «**دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ لا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ**

١- نهج البلاغة الخطبة: ٣ محمد عبده ١: ٣٦ – ٣٧.

وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً»[1]، ومضى هناك أخبار مناسبة للمقام.

قوله: «وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا» على كراهة منّي كما أوضحه عليه السلام في مقطع اخر حيث قال هناك: «وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَسَقَطَ الرِّدَاءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَاب»[2].

ولمّا مهّد المقدّمة الشريفة المنبئة عن عدم رغبته في الولاية والخلافة ورفع بها منّتهما عليه في المبايعة رتّب عليها الجواب عن نقمهما الأوّل أعني مسألة المشاورة وقال: «فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ» أراد به الحكم بما أنزل الله في كتابه دون غيره من أحكام الجاهليّة والأحكام الصّادرة عن الاستحسانات العقليّة كما صدرت عن الذين سبقوه.

فانّ هذه الآيات صريحة في وجوب الأخذ بحكم الكتاب، والآية الأخيرة وإن كانت خاصة بالنبيّ إلا أنّها تعمّ الأئمة القائمين مقامه صلى الله عليه وآله بل تعمّ ساير أحكام الشرع بمقتضى أدلة الشركة في التكاليف.

١- نهج البلاغة الخطبة: ٩٢ محمد عبده ١: ١٨٠ – ١٨١.

٢- المصدر نفسه الخطبة: ٢٢٩ محمد عبده ٢: ٢٢٢.

قوله: «**وَمَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ ﷺ فَاقْتَدَيْتُهُ**» وهكذا كان مذهبه عليه السلام في عدم حجيّة غير كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ﷺ.

قوله: «**فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا وَلا رَأْيِ غَيْرِكُمَا**» لأنّ كل شيء مذكور في كتاب الله وسنة نبيّه، وإن كان باقي الصحابة لم يعرفوا ذلك.

قوله: «**وَلا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ**» كما كان من تقدم عليه.

قوله: «**وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلا عَنْ غَيْرِكُمَا وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي وَلا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ**» فأنّ حكمي بالتسوية في القسمة لم يكن عن رأي منّي ولا هوى أتّبعته ولكن وجدناه أنا وأنتم قد فرغ الله منه: أي من القضاء به في اللوح المحفوظ وإنزاله، ويقال للأمر الثابت الّذي لا يحتاج إلى إيجاد أو تكميل مفروغ منه، ونسبة الفراغ إلى الله مجاز لمناسبته ما قضاه بفعل العبد الّذي فرغ من عمله.

وهذا دليل على كون التفضيل الذي أحدثه عمر بدعة منكرة، وقد تقدم أنّه عليه السلام قال لهما: ما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي قالوا: خلافك عمر في القسم أنّك جعلت حقّنا في القسم كحقّ غيرنا. فقال عليه السلام لهما: إنّ كتاب الله وسنّة نبيّه على التسوية فكيف يمكن إعمال الرأي في قبالهما.

قوله: «**فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللهُ مِنْ قَسْمِهِ وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ**» أي لمّا وجدته كذلك لم أمل إليكما بما يرضيكما مع مخالفته لما جاء به

الرسول صلى الله عليه وآله.

قوله: «**فَلَيْسَ لَكُمَا وَالله عِنْدِي وَلا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى**» فإنّه لمّا ثبت أنّه لا حقّ لهما فيما نقماه عليه لم يكن عليه أن يعتب.

ثمّ أخذ في الدعاء لهما ولنفسه بقوله: «**أَخَذَ الله بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْـحَقِّ وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ ثم قال عليه السلام رَحِمَ الله امْرَأً رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْه أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْناً بِالْـحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ**» دعا بالرحمة لمن رأى حقا فأعان عليه قاصدا دفع الناس إلى ذلك أو رأى جورا وظلما فرده ومنعه ورفع يد صاحبه وكان عونا بالحق على صاحبه أي كان مساعدا لصاحب الحق على صاحب الجور يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ الله وَلاَ الشَّهْرَ الْـحَرامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلائِدَ وَلاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْـحَرامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْواناً وَإِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْـمَسْجِدِ الْـحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقابِ**﴾[1].

ومن تأمل ذلك علم أن القوم لم يكونوا فيما صنعوه على جميل طوية في الدين ولا للمسلمين، وإن الذي أظهروه من الطلب بدم عثمان إنما كان تشبيها وتلبيسا، على العامة والمستضعفين ولولا ما جعلوه من شعارهم بدعوى الانتصار بعثمان، والتظاهر بتظليم قاتليه وخاذليه والندم على ما

١- المائدة: ٢.

فرط منهم فيه لما اختلف اثنان من العلماء وأتباعهم في صواب رأي المسلمين مما كان في عثمان وأنهم إنما اجتمعوا على خلعه وقتله باستحقاقه ذلك بالأحداث التي أحدثها في الدين ولكنهم ضلوا بما أظهروه وأفسدوا إفسادا عظيما بما أظهروه، ولم يثر المستضعفين في هذا الباب إلا لنأيهم عن معرفة الأخبار وتدبر الآثار واشتبه الأمر فيه على جماعة النظار بجهلهم بما أثبتناه في ذلك من الحديث، وبعدهم عن معرفة طرقه ولعل جمهورهم لم يسمع بشئ منه فضلا عن تدبره وكل من ضل عن سبيل الحق إنما ضل بالتقليد، وحسن الظن بمن لا يحسب حسن الظن لله فيه واعتقاد فضل من قد خرج عنه بسوء الرأي، وطريق الإنصاف، فيما ذكرناه والنظر فيما وصفناه والتأمل لما أثبتناه من الأخبار فيه وشرحناه والرجوع إلى أهل السير وإلى اختلافهم في الآراء والمذهب وإلى كتبهم المصنفة في الفتن تعرف ذلك منهما ومن تدبر الأمر يجده على ما وصفناه.

النص الثاني: قوله عليه السلام وَقَدْ قَالَ لَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ: - نُبَايِعُكَ عَلَى أَنَّا شُرَكَاؤُكَ فِي هَذَا الأَمْرِ -: «**لا وَلَكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي الْقُوَّةِ وَالاسْتِعَانَةِ وَعَوْنَانِ عَلَى الْعَجْزِ وَالأَوَدِ**[1]»[2].

قول المصنف: (وَقَدْ قَالَ لَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ: - نُبَايِعُكَ عَلَى أَنَّا شُرَكَاؤُكَ فِي هَذَا الأَمْرِ -). أراد طلحة والزبير أن يكونا شريكان للإمام في الحكم وإدارة البلاد على نحو يكون كل منهما نافذ الأمر يحلّ ويربط يفك

١- الاود: العوج . كتاب العين ٨: ٩٦ .

٢- نهج البلاغة الحكمة: ٢٠٢ محمد عبده ٤: ٤٦.

ويعقد مقابل أن يبايعاه بالخلافة ولكن الإمام رد بقوله: (لا)، أي: لم تكن بيعتكما إياي على كونكما شريكي في أمر الخلافة فأن ذلك لا يمكن ولا يخدم المصلحة العامة لأن ذلك بدعة في الإسلام، وداعية للفساد في الأرض. والظاهر أنّ طلحة والزبير لمّا رأيا أنّ عمر كان شريك أبي بكر في خلافته، وبني أمية لا سيما مروان كانوا شركاء عثمان في خلافته، طمعا منه عليه السلام ذلك.

قوله: «**وَلَكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي الْقُوَّةِ وَالاسْتِعَانَةِ**» قال ابن أبي الحديد: (الاستعانة هاهنا الفوز والظفر، كانوا يقولون للقامر يفوز قدحه قد جرى ابنا عنان. وهما خطان يخطان في الأرض يزجر بهما الطير، واستعان الإنسان، إذا قال وقت الظفر والغلبة هذه الكلمة)[1].

وما قاله غير صحيح، فالاستعانة هي ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[2]، لا بمعنى مصطلح عند القامرين في الجاهلية.

قوله: «**وَعَوْنَانِ عَلَى الْعَجْزِ وَالأَوَدِ**». أستعين بكما على إحقاق الحق، والعمل لمصلحة الإسلام والمسلمين، وإن عجزت عن القيام بواجب الخلافة كنتما لي رفدا وعونا.

وخلاصة القول ان منصب الإمامة الشركة فيه ممنوعة من وجهين:

١- إن الإمامة أمر إلهيّ ونصب نبويّ، ولا معنى لشركة الغير المنصوص عليه معه في أمر الإمامة.

١- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ١٩: ٢٢.

٢- الفاتحة: ٥.

٢- إن الإمامة باعتبار أنّها رياسة على الأمة لا تقبل الشركة، لأنّ حكم الإمام هو الفصل النهائي للاختلاف في الأحكام، ومع شركة الغير فيها لا ينتهي الخلاف إلى الفصل القاطع، لإمكان اختلاف الشركاء أنفسهم، فلا فصل في البين.

دوافع عائشة في مشاركتها الناكثين:

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى دوافع عائشة من مشاركتها في فتنة الناكثين بقوله: «**وَأَمَّا فُلانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ وَضِغْنٌ[١] غَلا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ[٢] الْقَيْنِ[٣] وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الأُولَى وَالْحِسَابُ عَلَى اللهِ**»[٤].

قوله: «**وَأَمَّا فُلانَةُ**» فهي عائشة «**فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ**» وهذا الضعف كان واضحا في شخصيتها ولهذا نجد أن التاريخ يحدثنا إن عليّاً عليه السلام أنكر على طلحة إخراجه عائشة، فقال طلحة: إنّها إنّما جاءت للإصلاح. فقال عليّ عليه السلام: «**هي لعمر الله إلى من يصلح لها أمرها أحوج**»[٥].

دوافع طلحة من المشاركة بالمؤامرة:

بين الإمام أمير المؤمنين الدوافع التي أدت إلى أن يشترك طلحة بن

١- الضغن والضغينة: الحقد، ضغن عليه أي: حقد. كتاب العين ٤: ٣٦٦.

٢- المرجل قدر من نحاس. مجمع البحرين ١: ٧٢.

٣- القين: الحداد، وجمعه قيون. كتاب العين ٥: ٢١٩.

٤- الخطبة: ١٥٦، نهج البلاغة، محمد عبده ٢: ٤٨.

٥- الامامة والسياسة ١: ٧٠.

عبيد الله بهذه المؤامرة وهو ما أشار إليه عليه السلام: «وَاللهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً[1] لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ[2] وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ[3] بِمَا أَجْلَبَ[4] فِيهِ لِيُلْبِسَ[5] الأَمْرُ وَيَقَعَ الشَّكُّ. وَوَاللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاثٍ لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً كَمَا كَانَ يَزْعُمُ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُؤَازِرَ[6] قَاتِلِيهِ أَوْ أَنْ يُنَابِذَ[7] نَاصِرِيهِ. وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْـمُنَهْنِهِينَ[8] عَنْهُ وَالْـمُعَذِّرِينَ[9] فِيهِ وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ[10] لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ[11] جَانِباً وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلاثِ وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ[12]»[13].

١- تجرد للامر: أي جد فيه . الصحاح ٢: ٤٥٦ .

٢- المظنة: بيت يظن فيه الشيء . لسان العرب ١٣: ٢٧٤ .

٣- الأغلوطة: الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به . لسان العرب ٧: ٣٦٣ .

٤- أجلبوا عليه: إذا تجمعوا وتألبوا. الصحاح ١: ١٠٠ .

٥- اللبس: خلط الامور بعضها ببعض إذا التبست . كتاب العين ٧: ٢٦٢ .

٦- آزره ووازره: أعانه على الأمر. لسان العرب ٤: ١٨ .

٧- الضراب: القتال . مجمع البحرين ٣: ٣١٠ .

٨- النهنهة: الكف. نهنهت فلانا إذا زجرته فتنهنه أي كففته فكف.لسان العرب١٣: ٥٥٠.

٩- المعذرين، بالتشديد: الذين يعتذرون بلا عذر كأنهم المقصرون الذين لا عذر لهم . لسان العرب ٤: ٥٤٦.

١٠- الخصلة: الخلة . الصحاح ٤: ١٦٨٥ .

١١- ركد الماء والريح ركودا ، أي: سكن . كتاب العين ٥: ٣٢٧ .

١٢- المعاذير: الحجج . لسان العرب ٤: ٥٥٢ .

١٣- نهج البلاغة الخطبة: ١٧٤ محمد عبده ٢: ٨٨ – ٨٩.

أشار إلى نكتة خروج طلحة إلى البصرة بقوله: «**وَاللهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ**». وهو ما روي انه : لمّا رأى مروان يوم الجمل طلحة، قال: لا أنتظر بعد اليوم بثأري في عثمان، فانتزعه بسهم فقتله[1].

قوله: «**وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ**» أي: على قتل عثمان. «**مِنْه**» أي: من طلحة.

قوله: «**فَأَرَادَ**» أي: طلحة. «**أَنْ يُغَالِطَ**» أي: يوقع الناس في الغلط. «**بِمَا أَجْلَبَ**» وجمع من الجند.

«**فِيهِ**» متعلق بقوله «**يُغَالِطَ**»، أي: في كونه قاتل عثمان. «**لِيُلْبِسَ الأَمْرُ وَيَقَعَ الشَّكُّ**» في جريمته ومسئوليته عن دم عثمان خوفا أن يؤخذ به. «**وَوَاللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاثٍ**» أقسم عليه السلام أن طلحة لم يفعل في أمر عثمان قضية واحدة من ثلاث يجب العمل بها، فهو قد عصى في تركه لجميعها ولو فعل واحدة منها لكان معذورا شرعا وعرفا والثلاث هي لا يخلو عثمان إما أن يكون ظالما أو مظلوما أو أن طلحة في شك من واحدة منهما فلا يدري وأمام هذه الصور يجب أن يحدد الإنسان موقفه حتى يعذر من قبل الله وفي نظر الناس.

الصورة الأولى: وهو ما أشار إليها بقوله: «**لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً كَمَا كَانَ يَزْعُم**» قبل قتله. «**لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُؤَازِرَ قَاتِلِيهِ أَوْ أَن يُنَابِذ**

١- العقد الفريد ٥: ٧٠.

نَاصِرِيهِ» أي إذا كان عثمان ظالما وهذا ما يزعمه طلحة وقد كانت أفعاله معه تحكي ذلك كان عليه أن يعاون قاتليه لأنه ظالم منحرف وفي الوقت نفسه يعادي ناصرية ويحاربهم.

الصورة الثانية: وهو ما أشار إليها بقوله: «**وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْـمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ وَالْـمُعَذِّرِين فِيه**» أي إن كان عثمان مظلوما فكان على طلحة أن يدفع عنه ويكف الناس عن داره ولا يتركهم يقتلونه ليعذر بأنه قد دافع عنه فلم يقدر فيكون قد قام بواجبه والمطلوب منه.

الصورة الثالثة: وهو ما أشار إليها بقوله: «**وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخُصْلَتَيْن لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً وَيَدَعَ النَّاس مَعَهُ**» . فلو كان شاكا من ألأمر -فلا يدري هل عثمان كان ظالما أم مظلوما- وهنا يجب عليه أن يتوقف ويعتزل الأحداث والناس ويتخذ مكانا هادئا بعيدا عن الساحة حتى يتبين له الأمر وما تنتهي إليه الأمور.

قوله: «**فَمَا فَعَلَ**» أي: طلحة. «**وَاحِدَةً مِنَ الثَّلاثِ**» المتقدّمة. «**وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُه**» . وهو أنه نكث البيعة- بعد إعطائها طائعا مختارا- ودون مبرر لها أو حدث يوجب ذلك ثم جاء بمعاذير واهية لم يقبلها عاقل ولا يرضى بها منصف.

***

الفصل الخامس

مواجهة الفتنة

الإشارة على الإمام بعدم إتباع الناكثين:

كان هناك رأي بأن لا يقوم الإمام عليه السلام بملاحقة الناكثين والبقاء في المدينة وكان اعتقاد هؤلاء بان المساعي ستؤدي إلى حل المسالة سلمياً ولهذا أشاروا على الإمام عليه السلام بعدم إتباعهم ولكن الإمام عليه السلام الذي كان يعرف نوايا الناكثين ونفسياتهم المريضة والغرض الذي من اجله قاموا بهذا العمل أجابهم بقوله: «**وَالله لا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ[1] حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيَخْتِلَهَا[2] رَاصِدُهَا[3] وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ[4] عَنْهُ وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ[5] أَبَداً حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ**

١- اللدم واللديم: صوت الشيء يقع على الارض. كتاب العين ٨: ٤٧ .

٢- الختل: تخادع عن غفلة . كتاب العين ٤: ٢٣٨ .

٣- الراصد بالشيء الراقب له .تاج العروس ٢: ٣٥٣ .

٤- دبر كل شيء خلاف قبله . كتاب العين ٨: ٣١ .

٥- المريب المظنون به ذلك فقط ، وكل مريب متهم . الفروق اللغوية: ٢٦٤ .

يَوْمِي»[1].

قوله: «**وَالله لا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا**» رفض الإمام أن يقعد عن القوم الناكثين وأقسم أنه لا يكون كالضبع في الغباء وعدم الاهتمام بما يدور حوله فيقع في شراكهم ويتمكنون منه ولو أنه عليه السلام لم يلاحقهم ويطاردهم بل بقي مكانه لقويت شوكتهم وعجز بالتالي عن مقارعتهم.

قوله: «**وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي**»، هذا هو تصميم الشرفاء وأهل الحق في الدنيا وإن عليا سيد الشرفاء وصاحب أعظم حق وهو الخليفة الشرعي بنص الله ورسوله وإجماع الأمة ومعه الأنصار والأتباع وهذا يستدعي منه انتصارا للحق وإزهاقا للباطل، هذا يستدعي منه أن يقاتل بمن معه ممن قبل الحق وسانده من خالفه وعانده ويقاتل بمن أطاع أمره من عصاه وبهذه الطريقة يحقق إرادة الله ويدرك رضاه وقد أخذ على نفسه أن يبقى على هذه الطريقة حتى يختار الله له الدار الآخرة وقد صدق فيما قال فقد قاتل الناكثين في معركة الجمل والبغاة في صفين والخوارج في النهروان حتى جاء أمر الله فضربه اللعين ابن ملجم وكانت الخاتمة السعيدة شهادة في سبيل الله.

١- نهج البلاغة الخطبة: ٦ محمد عبده ١: ٤١- ٤٢.

مواجهة الإمام عليه السلام لحركة الناكثين:

ينبغي الإشارة هنا إلى أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما واجه حركة التمرد عليه في خروج طلحة والزبير فإنما نجده عليه السلام عاب على هؤلاء نكثهم للبيعة وعدم التزامهم بالعهود وخروجهم عن جماعة المسلمين وانتقدهم في ذلك وبين أن موقفهم ذاك كان موقفا مخالفا للشرع لكن مع ذلك لم يتخذ أي إجراء قهري حتى حملوا السلاح واعتدوا وهو ما أشار إليه عليه السلام بقوله في خطبة له عند مسير أهل الجمل إلى البصرة: «**إِنَّ الله بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ لا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلا هَالِكٌ وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ مِنَ الْمُهْلِكَاتُ إِلا مَا حَفِظَ الله مِنْهَا وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ الله عِصْمَةً لأَمْرِكُمْ فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلا مُسْتَكْرَهَةٍ بِهَا وَالله لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ الله عَنْكُمْ سُلْطَانَ الإِسْلامِ ثُمَّ لا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبداً حَتَّى يَأْرِزَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُم إِنَّ هَؤُلاءِ قَدْ تَمَالَئُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ**»[1].

قوله: «**إِنَّ الله بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً**». ابتدأ الخطبة بذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وإن الله بعثه إلى الخلق ليهديهم لما فيه منافعهم في آخرتهم ودنياهم، «**بِكِتَابٍ نَاطِقٍ**» وهو القرآن الكريم الذي يحكي مرادات الله وأوامره إلى الناس «**وَأَمْرٍ قَائِمٍ لا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلا هَالِكٌ**» أنزل شريعة مستقيمة صحيحة معتدلة

١- نهج البلاغة الخطبة: ١٦٩ محمد عبده ٢: ٨٢.

لا يهلك بعدها إلا هالك أي من كانت جبلته لا تقبل الهداية والرشاد فهو في منتهى الشقاوة وغاية التعاسة.

اذ لا سبيل لنجاح المسلمين وتقدمهم إلا التمسك والعمل بكتاب الله وسنة نبيه، والتاريخ يشهد بأن المسلمين كانوا خير أمة أخرجت للناس حين كان الإسلام مادة للتعليم في مدارسهم، ومصدرا للأحكام في محاكمهم، وأساسا للعلاقات والمعاملات مع الغير ومع بعضهم البعض.

قوله: «**وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ مِنَ الْمُهْلِكَاتُ**». ذكر الأمور التي ابتدعها الظالمون وهي الأمور التي لم تكن على عهد رسول الله ﷺ ولم تدخل تحت عموم أو إطلاق مشروع أو منصوص فإنها لشبهها بالحق وبالمشروع من الأحكام كانت هي المهلكات وذلك لأمرين :-

الأول: أن أصحاب الإيمان الرقيق أخذوا بها فضلوا وانحرفوا وهلكوا.

الثاني: أنها كانت هي السبب الموجب لانقسام المسلمين وتخلفهم.

قوله: «**إِلا مَا حَفِظَ الله**». استثناء من المهلكات: أي إلا ما حفظ الله منها بالعصمة عن ارتكابها فهي لا تكون مهلكة إلا لمن ارتكبها.

قوله: «**وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ الله**» يحتمل معنيان:

الأول: إن سلطان الله هو سلطان الإسلام، وأراد سلطان دين الله فحذف المضاف.

الثاني: أنه أراد بسلطان الله نفسه لكونه خليفة له في أرضه الذي ينفذ

أمر الله ، وإنّما أضافها إليه اعتزارا به.

قوله: «**عِصْمَةٌ لأَمْرِكُمْ**» ان التمسك بشريعة الله هو الأساس لكيان المسلمين وسلطانهم وهيبتهم وأنّ فيه منعة وعصمة لهم فإنّ الّذي نصرهم وهم قليلون حيّ قيّوم فبالأولى أن ينصرهم على كثرتهم بشرط طاعته الخالصة والدخول في أمر سلطانه وعلى المعنى الثاني فإن في الالتزام بأمر الخليفة عز ومنعة وقوة.

ولذلك قال: «**فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلا مُسْتَكْرَهَةٍ بِهَا**» فأعطوا طاعتكم للإمام أو الإسلام طاعة لا تتضمن لوما ولا ذما بل تكون طاعة مخلصة لا نفاق فيها ولا رياء وليس فيها إكراه بل فيها تسليم ورضا بما يجري وإن الرعية إذا سلمت الأمر لأولي الأمر وأطاعتهم في أوامرهم نجحت وفازت وانتصرت وحققت لنفسها العز والكرامة، لأنها تندفع عن قناعة بالقيادة وحكمة تصرفاتها وأما إذا كانت غير ذلك فإنها تتردد في مواقفها وتعيش القلق في حياتها ولم يكن لها من الإقدام والجرأة ما لغيرها.

قوله: «**وَالله لَتَفْعَلُنَّ**» أخذ في وعيدهم إن لم يطيعوا بنقل الله عنهم سلطان الإسلام من غير أن يردّه إليهم أبدا حتّى يصير الأمر إلى غيرهم، وأراد أمر الخلافة.

قوله: «**أَوْ لَيَنْقُلَنَّ الله عَنْكُمْ سُلْطَانَ الإِسْلامِ ثُمَّ لا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً**» ربط الإمام بين الطاعة الخالصة لله، وبين سلطان الإسلام بحيث لا سلطان إطلاقا إلا بهذه الطاعة، وأكد ذلك بالقسم.

قوله: «**حَتَّى يَأْرِزَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ**» قيام المهديّ عليه السلام ودولة أهل

بيته، وذلك لأمرين:

الأول: فإنّ أهل بيته عليهم السلام كانوا من غير المخاطبين لاختلاف عقيدتهم معهم بأنّهم لمّا كانوا أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله يجب أن يكونوا خلفاءه، كما هو مقتضى العقل وجرت عليه الشرائع وهو ما أشار إليه قوله تعالى: «**ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**»[1].

الثاني: إن الذي يرتضيه السياق والاعتبار أن الإمام هو الذي يجسّد الإسلام ويقدمه كأطروحة ناجحة صحيحة وأما غيره ممن تسموا أئمة فلنقصهم وقصورهم لن يقدموا الإسلام كرسالة تحمل الحياة للناس فلذا بعد الإمام علي لم يتول الأمر أحد من أبنائه الأئمة ولذا لا يزال الإسلام يعيش الغربة ولا تزال الناس بعيدة عن بركاته وإن عاشت في أجواء إسلامية عامة وما سمي بسلاطين الإسلام وحكامه فهم لم يرتبطوا بالإسلام الصحيح السليم وإنما ارتبطوا بإسلام المصالح التي تخدمهم وتخدم حكمهم.

قوله: «**إِنَّ هَؤُلاءِ قَدْ تَمالَئُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمارَتِي**» أشار إلى الناكثين: طلحة والزبير وأم المؤمنين ومن تابعهم بأنهم قد اجتمعوا واتفقت كلمتهم على كراهة إمارته وخلافته لا ما أظهروه من الطلب بدم عثمان.

قوله: «**وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ**» وعد بالصبر عليهم ما دام لا يخاف على

١- آل عمران: ٣٤.

حوزة الجماعة، وأخبرهم أنّهم إن بقوا على ضعف رأيهم في مسيرهم ومخالفتهم قطعوا نظام المسلمين وفرّقوا جماعتهم إنه عليه السلام سيتركهم وشأنهم ما لم يهددوا وحدة المسلمين ولكنه يقرأ في إعلانهم الحرب عليه وخروجهم لقتاله وبهذا الرأي الضعيف، يقرأ تفكيك الوحدة بل تفتيتها وعندها لا بد من المواجهة وقد كانت في الجمل.

تصنيف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لحركة الناكثين:

بالرغم من أن حركة هذه الجماعة تعتبر بمثابة الخروج على رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة أنهم خرجوا على نفسه- كما عبر القران الكريم- نجد أن البعض جاء ليبرر ما قاموا به فمرة يصنفوه على انه خطا في الاجتهاد ومرة يقولوا إنهم تابوا ومرة يأتون بروايات موضوعة عن الإمام أمير المؤمنين يدعون فيها إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام استغفر لهم ولكننا عند مراجعة نهج البلاغة نجد أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد صنف هذه الحركة على إنها حركة قائدها الشيطان وان من قام بها هم حزب الشيطان وان هدف هذه الحركة هو القضاء على الإسلام وهو ما أشار إليه عليه السلام في العديد من النصوص:

النص الأول: قوله عليه السلام: «**أَلا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ**[1] **حِزْبَهُ**[2]

١- الذمر: اللوم والحض معا . كتاب العين ٨: ١٨٥ .

٢- الحزب: أصحاب الرجل على رأيه وأمره . كتاب العين ٣: ١٦٤ .

وَاسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ[1] لِيَعُودَ الْـجَوْرُ[2] إِلَى أَوْطَانِهِ وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ[3] ... يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ وَيُحْيُونَ بِدْعَةً[4] قَدْ أُمِيتَتْ يَا خَيْبَـةَ[5] الـدَّاعِي مَنْ دَعَا وَإِلا مَ أُجِيبَ وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ الله عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِـيهِمْ فَـإِنْ أَبَـوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِراً لِلْحَقِّ وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ[6] وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِـلادِ[7] هَبِلَـتْهُمُ[8] الْهُبُـولُ لَقَـدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْـحَرْبِ وَلا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وَغَـيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي»[9].

قوله: «أَلا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ وَاسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ»، الشيطان قائد كل فرقة ضالة وهو الدافع لكل حزب منحرف إلى الانحراف وما كانت معركة إلا وكان الشيطان وراء الفرقة المعتدية الظالمة. والأصل في

١- الجلب: ما يجلب من السبي أو الغنم، والجمع أجلاب، والفعل يجلبون. كتاب العين ٦: ١٣٠.

٢- الجور: نقيض العدل. وقوم جارة وجورة، أي: ظلمة. كتاب العين ٦: ١٧٦ .

٣- النصاب: الأصل. غريب الحديث - ابن سلام ١: ١٧١ .

٤- البدعة: ما استحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من أهواء وأعمال ، ويجمع على البدع . كتاب العين٢: ٥٥ .

٥- خاب الرجل خيبة، إذا لم ينل ما يطلب. الصحاح ١: ١٢٣ .

٦- طعنه بالرمح يطعن بضمة العين طعنا، ويقال: يطعن بالرمح ويطعن بالقول. كتاب العين ٢: ١٥.

٧- الجلد: الصلابة والجلادة. وقد جالد قرنه وهما يجالدان إذا اشتد أحدهما على صاحبه، ويقال للارض الصلبة الجلد بتحريك اللام. الفروق اللغوية:١٦٤ الصحاح٢: ٤٥٨.

٨- هبلته أمه، أي: ثكلته، والهبل كالثكل. كتاب العين ٤: ٥٣ .

٩- نهج البلاغة الخطبة: ٢٢ محمد عبده ١: ٥٩ .

كلامه قوله تعالى للشيطان: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[1].

قوله: «لِيَعُودَ الْـجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِه» فإن من خالف عليا ونكث بيعته فهو مع الشيطان لأن عليا مع الحق والحق مع علي كما نطق بذلك رسول الله وكما صدقته شواهد الأيام والمواقف. والإمام هنا في هذه الخطبة يذكر الناكثين لبيعته الذين جهزوا الجيوش لقتاله يقول: إن الشيطان هو الذي دفعهم وحضهم وهم من حزبه جاءوا بهذا الرعاع من كل مكان لقد استنفرت أم المؤمنين ومعها طلحة والزبير الناس وجيشوهم لقتال الحق إنهم أرادوا من وراء حربهم أن يعود الجور إلى ما كان عليه أيام الخلفاء الذين تقدموا عليه وخصوصا أيام عثمان التي كانت أيامه ثقيلة على الأمة.. أرادوا أن يرجع الباطل كما فعلوا ذلك يوم السقيفة ويوم الدار، فحالوا بينه عليه السلام وبين حقّه هربا من عدله عليه السلام فيهم ومنعهم من الجور والباطل. أو كما كان أيام عثمان إلى اليوم الذي هو فيه حيث أرادوا الخلافة وطلبوها ولما لم يحصلوا على شيء منها أعلنوها حربا شعواء[2] أتت على الحرث والنسل وزرعت في جسد الأمة فتنة لا نزال نعيش آثارها حتى اليوم.

١- الإسراء: ٦٤ .

٢- الشعواء: الغارة الفاشية. وأشعى القوم الغارة إشعاء، أي: أشعلوها. كتاب العين ٢: ١٩٠.

قوله: «**يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَت**» استعار لفظ الأم لنفسهعليه السلام أو للخلافة فبيت المال لبنها والمسلمون أولادها المرتضعون وكنّى بارتضاعهم لها وقد فطمت عن التماسهم منهعليه السلام من الصلات والتفصيلات مثل ما كان عثمان يصلهم به ويفضل بعضهم على بعض ومنعه لهم من ذلك.

قوله: «**وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَت**» إشارة إلى ذلك التفضيل فإنّه كان بخلاف سنّة رسول اللهصلى الله عليه وآله وسنّة الشيخين والبدعة مقابلة للسنّة، وإماتتها تركهعليه السلام في ولايته.

قوله: «**يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي**» من الإجابة «**مَنْ دَعَا**» خرج مخرج التعجّب من عظم خيبة الدعاة إلى قتاله ومن دعا، وإلى ما أجيب استفهام على سبيل الاستحقار للمدعوّين لقتاله والناصرين إذ كانوا عوامّ الناس ورعاعهم وللمدعوّ إليه وهو الباطل الّذي دعوا لنصرته.

وإنّما دعا إليه طلحة والزبير اللذان حثّا على قتله، ودعا إليه من كان مثلهما في الحثّ على قتله عايشة، وكانت مأمورة بنص القرآن بالقرار في بيتها، وبنص النبيصلى الله عليه وآله لها ألا تكون صاحبة كلاب الحوأب.

وهل باطل أوضح من هذا ولكن ما يخفف الخطب إن الأنبياء واجهوا هكذا مواقف من وضوح الحق وعدم إتباع الناس له وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ**»[1].

١- الانعام: ١١١.

قوله: «**وَإِلا مَ أُجِيب**» أي: أجيب إلى الطلب بدم عثمان الذي استحل المؤمنون دمه، ومنع المسلمون من دفنه في مقابر المسلمين.

قوله: «**وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ الله عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِم**» وإني لراض بحجة الله عليهم وهي وجوب وفائهم بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم عند ما تمت البيعة لي من قبلهم فإنهم بايعوا وشايعوا وهو حجة عليهم والله يعلم ما هم فيه من الضلال والانحراف وبراءة ذمتي لو قاتلتهم لأنهم نقضوا العهد.

قوله: «**فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْف**» فإن رفضوا ما أعطوا من العهد والبيعة وما التزموا به أمام الله في الوفاء بها سأعطيهم السيف يأخذ منهم مأخذه ويطالهم ويحصد جمعهم .

قوله: «**وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِراً لِلْحَق**» وبه الكفاية عن كل دواء وفيه الشفاء من كل داء سواء تمثل بالغدر والنفاق أو المعارضة والحرب وكفى به ناصرا للحق الذي أنا عليه والذي أريده منهم.. فإنه إذا توقف الأمر على هذا الأسلوب فلا بد من انتهاجه ولا بد من شهر السيف وإظهاره من غمده فهو الناصر للحق والمدحض للباطل.

قوله: «**وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلادِ هَبِلَتْهُمُ الْهُبُولُ لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْـحَرْبِ وَلا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي**» تعجب الإمام منهم استصغارا لقدرهم كيف يهددونه بالحرب ويطلبون منه النزال ودعا عليهم أن يصابوا بالموت حتى لا يبقى منهم أحد ولقد كان وما يجرأ أحد أن يهدده بالحرب أو يدعوه

للنزال أو يخوفه بالضرب بالسيوف التي تجتث الرءوس فإنه البطل اليتيم في هذا المضمار الذي ما اعتلى سيفه هامة إلا وقدها وما اعترض وسط رجل إلا قطعه. ما انهزم في موقعة وما فر من معركة ولا تهيب من أحد ولا تردّد في نزال. إنه الشجاع الذي يقرأ تاريخه في العهد النبوي كله فيجده القارئ راية نصر ترفرف في كل موقعة واسمه مفتاح الفتح في كل معركة. فهذه الجهة عجز منهم وضعف.

ثم إنه يملك اليقين الصادق بأنه على الحق وإنه ناصر لدينه ومدافع عن شريعته وليس في شبهة من دينه فإن الحق معه دون ريب وهو الخليفة الشرعي وعليه ردع المنحرفين وقتال الناكثين فإن قتال المنافقين على مستوى قتال الكافرين.

النص الثاني: قوله عليه السلام في معنى طلحة والزبير: «**وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ[1] فِيهَا الْحَمَأُ[2] وَالْحُمَّةُ[3] وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ[4] وَإِنَّ الأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ[5] وَايْمُ الله**

١- البغي: الظلم . الباغي: الظالم . كتاب العين ٤: ٤٥٣ .

٢- الحمأ: أبو زوج المرأة، وقيل: الواحد من أقارب الزوج والزوجة. لسان العرب ١: ٦١.

٣- الحمة عند العامة: إبرة العقرب والزنبور ونحوهما . وإنما الحمة سم كل شيء يلدغ أو يلسع. كتاب العين ٣: ٣١٣.

٤- الاغداف: إرسال القناع، قال عنترة:

ان تغدفي دوني القناع فانني طب بأخذ الفارس المستلئم

وأغدف الليل واغدودف أي: أرخى سدفته . كتاب العين ٤: ٣٩٤ .

٥- الشغب: تهييج الشر . كتاب العين ٤: ٣٦١ .

لافْرِطَنَّ[1] لَـهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ[2] لا يَصْدُرُونَ[3] عَنْهُ بِرِيٍّ وَلا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ[4]»[5].

قوله: «وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ» إنّه عليه السلام كان يعلم تفاصيل تلك الفئة، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْـمُقْسِطِينَ»[6].

قوله: «فِيهَا الْـحَمَأُ وَالْـحُمَّةُ» استعار هاتين اللفظتين لإسقاط الناس وأرذالهم الّذين جمعوا لقتاله، ووجه الاستعارة مشابهتهم فحم الإلية وما اسوّد منها في قلّة المنفعة والخير، وهي كناية عمّا ظهر من القوم من تهديدهم وتوعيدهم بالقتال.

قوله: «وَالشُّبْهَةُ الْـمُغْدِفَةُ وَإِنَّ الأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ» أراد بالشبهة المغدفة يعني أن شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق حيث لم يعلم الناس الحقيقة فساروا مع

١- أفرط [فلان] في أمره، أي: عجل فيه وجاوز القدر . كتاب العين ٧: ٤١٩.

٢- المتح: جذبك الرشاء تمد بيد وتأخذ بيد على رأس البئر . كتاب العين ٣: ١٩٦ .

٣- الصدر: الانصراف عن الورد وعن كل أمر، ويقال: صدروا وأصدرناهم. كتاب العين ٧: ٩٥.

٤- الحسي: موضع سهل يستنقع فيه الماء، ولا يلبث أن ينضب، وجمعه: أحساء . كتاب العين ٣: ٢٧١.

٥- نهج البلاغة الخطبة: ١٣٧ محمد عبده ٢: ١٩.

٦- الحجرات: ٩.

الناكثين في غفلة عن الحقيقة وان الأمر لواضح بأن هذه الجماعة التي خرجت هي الفئة الناكثة التي سبق الخبر عنها وقد انقلع الباطل من مغرسه فلا أساس لما ادعوا من الباطل كما أن حجتهم خرست وتعطلت عن إثارة الشر وتحريكه لوضوح فساد ما هم عليه وباطل ما يمشون فيه.

قوله: «**وَإِنَّ الأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ وَايْمُ الله لأَفْرِطَنَّ لَـهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ لا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ وَلا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ**» أقسم بالله تهديدا لهم وتخويفا أنه سيملأ لهم حوضا هو نازح مائه لا يرجعون عنه بارتواء كما يرجع من يرد الماء كما أنهم لا يشربون بعده ماء باردا أبدا وهذا كناية عن أنه سيوقدها حربا ضروسا يعقبها قتلهم وهلاكهم ليس هي كسائر الحياض المعهودة التي إذا وردها الظمآن صدر عنها بري بل هم سيصدرون عنها مجزرين لا يشربون الماء البارد بعدها أبدا لأنهم يموتون ولا يبقون.

النص الثالث: ومن كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة: «**كُـلُّ وَاحِـدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الأَمْرَ لَهُ وَيَعْطِفُهُ[1] عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ لا يَمُتَّـانِ[2] إِلَى الله بِحَبْـلٍ وَلا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ[3] كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ[4] لِصَاحِبِهِ وَعَمَّا قَلِيلٍ**

١- عطفت الشيء: أملته . كتاب العين ٢: ١٧ .

٢- المت: توسل بقرابة. والماتة: الحرمة والوسيلة. تقول: فلان يمت إليك بقرابة. الصحاح ١: ٢٦٦.

٣- السبب: سبب الامر الذي يوصل به، وكل فصل يوصل بشئ فهو سبب. كتاب العين ٧: ٢٠٤.

٤- الضب: الحقد . الصحاح ١: ١٦٧ .

يُكْشَفُ قِنَاعُهُ[1] بِهِ وَاللهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ[2] هَذَا نَفْسَ هَذَا وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ[3] فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ[4] وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ[5] عِلَّةٌ وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ وَاللهِ لا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ[6] يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ ثُمَّ لا يَعْتَبِرُ»[7].

قول الشريف الرضي: (ومن كلام لهعليه السلام في ذكر أهل البصرة). المنصرف من أهل البصرة لا أهلها الأصليون بل قصد طلحة والزبير.

قوله : «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الأَمْرَ لَهُ وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ» فكل واحد منهما ـ طلحة والزبير ـ يرجو أن يكون أمر الخلافة له ويعمل لذلك ويجذبة إليه دون غيره[8].

قوله: «لا يَمُتَّانِ إِلَى اللهِ بِحَبْلٍ وَلا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَ». نفى أن يكون ذلك الخروج عليه منهما أن يكون لله أو يكون له ما يبرره بل كله عدوان صارخ على حقه وعلى حق الدين إذ بعد أن انعقدت له الخلافة وبايعاه معا

١- المقنع والمقنعة: ما تغطي به المرأة ، رأسها . لسان العرب ٨: ٣٠٠ .

٢- نزعت الشيء: قلعته . كتاب العين ١: ٣٥٧ .

٣- احتسبت بكذا أجرا عند الله ، والاسم الحسبة بالكسر وهى الاجر . الصحاح ١: ١١٠.

٤- السنن: الطريقة . يقال: استقام فلان على سنن واحد . الصحاح ٥: ٢١٣٨ .

٥- الضلة: الضلال . لسان العرب ١١: ٣٩٤ .

٦- سمي أهل الرجل ونساؤه لدما لأنهن يلتدمن عليه إذا مات أي يضربن صدورهن أو خدودهن واللدم الضرب . غريب الحديث - ابن قتيبة ١: ٩٢ .

٧- نهج البلاغة الخطبة: ١٤٨ محمد عبده ٢: ٣٢.

٨- تاريخ الطبري ٣: ٤٧٣.

من جملة من بايعوا كيف يكون نقضهما للبيعة ونكثهما للعهد ولما اعطيا من ميثاق.

قوله: «**كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ**» إن كل واحد منهما يحمل حقدا على الآخر ويتربص به الفرص للخلاص منه.

قوله: «**وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ**» عما قليل تتكشف الأمور فإنه جمر تحت الرماد وحقدهما سوف يظهر وينكشف للناس وهذه هي أخلاق أهل الدّنيا كلّهم كذلك، من حيث أنّ الدّنيا محبوبة جميعهم، فيتزاحمون عليها فيتهارشون كل مع الآخر حال الكلاب والجيفة.

قوله: «**وَالله لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ**» من نيل الإمارة «**لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا**». حلّف بالله إنهما لو انتصرا في حربهما وصارت الخلافة لهما ليأتي أحدهما على الآخر ويقضي عليه ولا يتركه على قيد الحياة وذلك لأن حربهما للإمام لم تكن لله وإنما كانت من أجل الخلافة وحبا بها فإذا صارت لهما ودارت بينهما وقع النزاع والخلاف وتحولت إلى أقوى الطرفين وأشد الخصمين وهذا أمر طبيعي فيمن أحب الدنيا والرئاسة والزعامة وقطع النظر عن الله والآخرة. وقد قيل «الملك عقيم» أي لا يترك أحدا ينازع صاحبه.

قوله: «**قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**» أي أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بخروج الناكثة والقاسطة والمارقة وبأنّ عليّا عليه السلام يقاتلهم، وقد روى هذا الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله غير واحد من العامّة والخاصّة[1].

١- مستدرك الحاكم ٣: ١٣٩ .

قوله: «**فَأَيْنَ الْـمُحْتَسِبُونَ**» استفهم متحسرا ومتأسفا أين هم الذين يطلبون الأجر ويبغون الثواب أين هم عن جهاد هؤلاء.

قوله: «**فَقَدْ سُتِّلَهُمُ السُّنَنُ وَقُدِّمَ لَـهُمُ الْخَبَرُ**» لمّا كان هنا مظنّة سؤال وهو أن يقال: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله سنّ السّنن واخبر بحال هؤلاء البغاة وأبان عن كونهم على الباطل فكيف كان خروج هؤلاء وكيف نكثوا عن بيعتهم مع تقدّم هذا الخبر منه واشتهاره بين النّاس أجاب عليه السلام عنه بقوله: «**وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ**» يعني وأمّا طلحة والزبير فلا علّة لضلّتهم بقتالهم معه عليه السلام، ولا شبهة لهما في نكث بيعته عليه السلام، فعلّة ضلّتهم كانت طلب دم عثمان وهم كانوا قاتليه، وسبب نكثهم كان عدم توليتهم الولايات، وليس هو شبهة وإنّما تكون شبهة لو كان أمكنهم ادّعاء وقوع خلاف شرع منه عليه السلام.

قوله: «**وَالله لا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ ثُمَّ لا يَعْتَبِرُ**». كيف أسكت عن أصحاب الجمل، وقد مثّلوا ونكّلوا بعاملي، وقتلوا العديد من المسلمين ظلما وعدوانا، ولو سكتّ ووهنت لكنت كمن يسمع صوت الناعي ينعى المقتولين ظلما، ويرى البكاء واللطم عليهم ثم لا يحرك ساكنا. وأي عذر لي عند الله إن تجاهلت وأهملت. فلا أغفل عن كيد الأعداء وأفعالهم وما يعملون وانتظر أترقب صوت الناعي بفقد الأحبة والبكاء عليهم ثم لا أحرك ساكنا ولا أرد معتديا. والمراد أنّي لا اساهل في أمر طلحة والزبير، أخليهما وإفساد البلاد.

الفجائع التي قام بها الناكثون:

لقد قام الناكثون بأعمال يندى لها جبين الإنسانية والإسلام منها براء ولا يستطيع احد مهما حاول تبريرها الدفاع عنها إلا أن تكون العصبية العمياء قد طغت على قلبه فأعمته فلا يستطيع احد حينئذ أن يهديه أو يرشده أو يقنعه.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الجرائم والانتهاكات والتي تحاسب عليها جميع الشرائع والقوانين بلا أدنى شك وهي بالشكل التالي:

أولاً: إخراجهم عائشة معهم:

لقد أمر الله سبحانه وتعالى نساء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بنص واضح وصريح ان يقرن في بيت النبي ولا يبارحنه وهو ما أشار إليه قوله تعالى: **«وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْـجَاهِلِيَّةِ الأُولى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ الله وَرَسُولَهُ»**[1]. وذلك حفاظا على حرمة رسول الله ومقامه ولكن ما حدث إنهم عمدوا إلى إخراجها من المكان الذي أمر الله أن تقر فيه وقد هتكوا بذلك حرمة رسول الله وهو ما أشار إليه عليه السلام بقوله في ذكر أصحاب الجمل: **«فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ[2] حُرْمَةَ[3] رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله كَمَا تُجَرُّ**

١- الاحزاب: ٣٣.

٢- جررت ذيلي فانجر: سحبته فانسحب. الصحاح ١: ١٤٦ .

٣- حرمة الرجل: حرمه وأهله . الصحاح ٥: ١٨٩٥ .

الأَمَةُ[1] عِنْدَ شِرَائِهَا مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ فَحَبَسَا[2] نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا وَأَبْرَزَا حَبِيسَ[3] رَسُولِ اللهﷺ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا»[4].

قوله: «كَمَا تُجَرُّ الأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا» أي بيعها ووجه الشبه أنّ بايع الأمة يجرّها من بلد إلى بلد ويديرها في الأسواق ويعرضها على المشترين، فكذلك هؤلاء أخرجوها وأداروها في البلدان وشهّروها في الأصقاع لينالوا بذلك إلى ما راموه.

ثانياً: نكثهم للبيعة:

وقد تحدثنا عن هذا المعنى مفصلا عند الحديث عن كيفية بيعته فلا نعيد.

ثالثاً: قتل المؤمنين من دون وجه حق:

من أعظم الآثام والكبائر التي حرمها الله تعالى وتوعد من يقوم بها النار خالدا فيها قتل النفس المحترمة بدون حق وقد أقدم الناكثون على هذه الجريمة النكراء فقد قاموا بقتل العشرات من الأبرياء من دون وجه حق وهو ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا

١- الامة: المرأة ذات العبودية. كتاب العين ٨: ٤٣١ .

٢- الحبس: ضد التخلية . الصحاح ٣: ٩١٥ .

٣- احتبست الشيء أي خصصته لنفسي خاصة . كتاب العين ٣: ١٥١ .

٤- نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٢، محمد عبده ٢: ٨٦.

وَخُزَّانِ[1] بَيْتِ مَالِ الْـمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً[2] وَطَائِفَةً غَدْراً[3] فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْـمُسْلِمِينَ إِلا رَجُلاً وَاحِداً مُتَعَمِّدِينَ لِقَتْلِهِ بِلا جُرْمٍ جَرَّهُ لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْـجَيْشِ كُلِّهِ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلا بِيَدٍ دَعْ مَا إِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْـمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ»[4].

قوله: «دَعْ مَا إِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْـمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ». أي لو كان من قتلوه من المسلمين واحدا لحلّ لي قتلهم فكيف وقد قتلوا منهم عدّة مثل عدّتهم الّتي دخلوا بها البصرة. و- ما- بعد- دع- زايدة، والمماثلة هنا في الكثرة. وصدقعليه السلام فإنّهم قتلوا من أوليائه وخزّان بيت المال بالبصرة خلقا كثيرا كما ذكرناه على الوجه الّذي ذكره بعض غدرا وبعض صبرا. وقد كان غدر طلحة والزبير أوّل غدر في الإسلام، وقتل أولئك صبرا أول قتل في الإسلام صبرا.

وأمّا عدّة طلحة والزبير وعايشة التي دخلوا بها البصرة، فإنهم خرجوا من مكّة في سبعمائة رجل من أهل المدينة ومكة، ثمّ لحقهم النّاس حتّى كانوا ثلاثة آلاف[5].

١- الخزانة: الموضع الذي يخزن فيه الشيء . والخزانة عمل الخازن . كتاب العين ٤: ٢٠٩ .

٢- قتل صبرا يعني أنه أمسك على الموت .غريب الحديث - ابن سلام ١: ٢٥٥ .

٣- غدر غدرا أي: نقض العهد ونحوه . كتاب العين ٤: ٣٩٠ .

٤- نهج البلاغة الخطبة: ١٧٢ محمد عبده ٢: ٨٥.

٥- تاريخ الطبري ٣: ٤٧١.

قوله: «فَوَالله لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْـمُسْلِمِينَ إِلا رَجُلاً وَاحِداً مُتَعَمِّدِينَ لِقَتْلِهِ بِلا جُرْمٍ جَرَّهُ لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلا بِيَدٍ دَعْ مَا إِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْـمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ» يقسم الإمام أن الناكثين لو لم يكن لهم جريمة إلا قتلهم أحد المسلمين متعمدين لقتله ظلما وعدوانا لحل له قتل ذلك الجيش بأجمعه وقد علل ذلك بأنهم قد رأوا المنكر وهو القتل أمامهم ثم لم يردعوا فاعله أو يردوه عن فعله مع قدرتهم على ذلك إما بألسنتهم أو بأيديهم فكيف وقد قتلوا عددا يوازي عدد الناكثين، قتلوهم ظلما وعدوانا.

النص الثاني: قوله عليه السلام: «فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْـمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ[1] كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي... وَوَثَبُوا[2] عَلَى شِيعَتِي[3] فَقَتَلُوا طَائِفَةً[4] مِنْهُمْ غَدْراً وَطَائِفَةٌ عَضُّوا[5] عَلَى أَسْيَافِهِمْ فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا الله صَادِقِينَ»[6].

١- المصر: كل كورة تقام فيها الحدود وتغزى منها الثغور ، ويقسم فيها الفيء والصدقات من غير مؤامرة الخليفة، وقد مصر عمر بن الخطاب سبعة أمصار منها: البصرة والكوفة، فالامصار عند العرب تلك. كتاب العين ٧: ١٢٣.

٢- وثب عليه: صال صولا وصولة . الصحاح ٥: ١٧٤٦.

٣- شيعة الرجل: أصحابه وأتباعه. وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وأصنافهم: شيع. كتاب العين ٢: ١٩١.

٤- الطائفة من الشيء: قطعة منه . الصحاح ٤: ١٣٩٧.

٥- عضوا عليها: هذا مثل في شدة الاستمساك بأمر الدين . النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٥٢.

٦- الاحزاب: ٢٣.

فجريمة أصحاب الجمل مزدوجة لقيامهم في وجه السلطة الشرعية من جهة ولأنهم جرؤا معاوية على التمرد من جهة أخرى فقد سنّوا سنة سيئة تلاحقهم إلى الآخرة وعلى كل حال فإنهم بعد خروجهم من المدينة وقد فارقوا الإمام معلنين عليه الحرب توجهوا إلى البصرة ثغر الإسلام الهادي الآمن حيث عمدوا إلى شيعة علي فقتلوا طائفة منهم غدرا بعد أن أعطوهم الأمان والسلام وأبت طائفة أخرى عهدهم وميثاقهم وبقوا شاهرين سيوفهم في وجه الناكثين يضربونها حتى قضوا شهداء ولقوا الله صادقين في ولائهم للحق والإيمان وفي ولائهم لأمير المؤمنين عليه السلام وفي تمسّكهم بحبل بيعته المتين أو صادقين فيما عاهدوا الله عليه كما قال تعالى: **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾**[1].

رابعاً: تفريق جماعة المسلمين:

وهو ما أشار إليه عليه السلام في العديد من النصوص:-

النص الأول: قوله عليه السلام : **«إِنَّ هَؤُلاءِ قَدْ تَمالَئُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمارَتِي وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيالَةِ[2] هَذَا الرَّأْيِ**

١- نهج البلاغة الخطبة: ٢١٨ محمد عبده ٢: ٢٠٣- ٢٠٤.

٢- وفال رأيه يفيل فيلولة: أخطأ وضعف . ويقال: ما كنت أحب أن يرى في رأيك فيالة . ورجل فيل الرأي أي ضعيف الرأي ، قال الكميت:

بني رب الجواد ، فلا تفيلوا فما أنتم، فنعذركم، لفيل.

لسان العرب ١١: ٥٣٤.

انْقَطَعَ نِظَامُ الْـمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا الله عَلَيْهِ فَأَرَادُوا رَدَّ الأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ الله تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ الله ﷺ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ[1] لِسُنَّتِه»[2].

قوله: «إِنَّ هَؤُلاءِ قَدْ تَمَالَئُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي» أشار إلى الناكثين: طلحة والزبير وعائشة ومن تابعهم بأنهم قد اجتمعوا واتفقت كلمتهم على كراهة إمارته وخلافته.

قوله: «وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْـمُسْلِمِينَ» قال إنه سيصبر عليهم ولايبدأهم بحرب أو يستعمل معهم السيف ما لم يخف على وحدة المسلمين وجماعتهم وأنهم إن أتموا الأمر على هذا الرأي الضعيف قطعوا نظام المسلمين وفرقوا جماعتهم.

قوله: «وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا الله عَلَيْهِ» بيّن عليه السلام سبب خروج الناكثين وإنهم لم يخرجوا عليه لأمر شرعي ديني، فلم يخالف الله ولا رسوله ولم يترك واجبا أو يرتكب محرما، ولم يظلم أحدا أو يأكل مال

١- تقول: نعشه الله فانتعش. إذا سد فقره، وأنعشته فانتعش، أي جبرته فانجبر بعد فقر. قال زائدة: لا يقال نعشه الله فانتعش، والربيع ينعش الناس، أي، يخصبهم. قال رؤبة:

أنعشني منه بسيب مفعم

وقال:

وأنك غيث أنعش الناس سببه وسيف ، أعيرته المنية قاطع

كتاب العين ١: ٢٥٩.

٢- نهج البلاغة الخطبة: ١٦٩ محمد عبده ٢: ٨٢ .

أحد، إنهم لم ينقموا منه أمرا يبيح لهم الخروج وإنما كان خروجهم عليه وحربهم له طلبا للدنيا وحسدا منهم له .

قوله: «**فَأَرَادُوا رَدَّ الأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا**» أي أرادوا إخراج هذا الأمر عن أهل بيت الرسول ﷺ آخرا كما أخرجوه أوّلا، أو صرف هذا الأمر عنهم بعد إقباله إلى ما كان عليه من إدباره عنهم حيث أعاد الله عليه الخلافة بعد أن سلبها منه الظالمون فأرادوا الآن أن ترجع الأمور إليهم ويخرجوها عن أهلها ويعيدوها إلى غير مستحقيها فكما سلبوها أولا أرادوا سلبها الآن ورد الأمور كما كانت ظلما وجورا.

قوله: «**وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ**» أخبر الناس بما لهم عليه من الحق، إن لهم عليه العمل بكتاب الله كما أمر فيحلل حلاله ويحرم حرامه ويقيم فرائضه ويجري أحكامه وينفذ حدوده وكذلك لكم علينا العمل بسيرة رسول الله فكل فعل أو قول أو تقرير ننفذه ونؤديه كما أحب الله ورسوله ونقوم بحق رسول الله بأحياء سنته والسير على طريقته ومعنى النعش لسنته أي نجعلها متداولة بين الناس يعرفها كل مسلم ويطبقها ويقتدي بها.

النص الثاني: قوله عليه السلام : «**فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ**»[1].

١- نهج البلاغة الخطبة: ٢١٨ محمد عبده ٢: ٢٠٣.

فطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة ثالوث عصوا الله في خروجهم وتمردهم وليتهم اقتصروا في المعارضة على مجرد الخلاف السياسي بل قدموا البصرة الآمنة وعليها عمال أمير المؤمنين أميرها وخازن بيت مال المسلمين ومن يدور في فلكهما وهو قطر دخل في طاعة أمير المؤمنين يعيش الهدوء والاطمئنان دخل عليه الناكثون ففرقوا الكلمة ومزقوا الجماعة وشتتوا الوحدة فقد كانت البصرة وحدة مجتمعة وبدخول الناكثين تحولت إلى الفتنة الدامية.

تهديد الناكثين أمير المؤمنين عليه السلام بالحرب:

وهو ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «**قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ**[1] **بِالْحَرْبِ وَلا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ**[2] **وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ**»[3].

قوله: «**قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ وَلا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ**». فعلي هو قاتل مرحب، سيد فرسان اليهود، وابن ود الذي كان يعد بألف، علي هذا يهاب الحرب والضرب وهل أدبر علي من مناجز، أو ناجزه فارس فسلم اللهم إلا ابن العاص، وابن أرطاة ودع قوة علي وبطولته، واستمع إليه في هذه الأمنية على لسانه وهو يقول: «**وَاللهِ لابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّه**»[4]. ولأنسه وسعادته بالموت في مرضاة الله بات على

١- التهديد: التخويف. الصحاح ٢: ٥٥٦ .

٢- الضراب: القتال . مجمع البحرين ٣: ٣١٠ .

٣- نهج البلاغة الخطبة: ١٧٤ محمد عبده ٢: ٨٨ – ٨٩.

٤- نهج البلاغة الخطبة: ٥ محمد عبده ١: ٤١.

فراش رسول الله ليلة الهجرة، والسيوف تلمع فوق رأسه، وكأنها قوارير من عطر، أما الفراش فمن الورد والريحان.

تثبيط أبو موسى الأشعري الناس عن نصرة الإمام عليه السلام :

لقد ولى عثمان الولاة لا على أساس الكفاءة بل لانسياقهم لأهوائه ومصالحه ومن ابرز هؤلاء كان أبو موسى الأشعري فقد أحس هذا الشخص بالخطر الذي يهدده ويهدد مصالحه فسعى وعمل بكل جهده من اجل إفشال العمل الإصلاحي الذي قام به الإمام وشيعته فعلم الإمام بذلك فبعث إليه بكتاب : «**مِنْ عَبْدِ الله عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ قَيْسٍ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ[1] وَاشْدُدْ مِئْزَرَكَ[2] [3] وَاخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ[4] وَانْدُبْ[5] مَنْ مَعَكَ فَإِنْ تَحَقَّقْتَ فَانْفُذْ[6] وَإِنْ تَفَشَّلْتَ[7] فَابْعُدْ وَايْمُ الله لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ**

١- الذيل: ما أسبل فأصاب الارض من الرداء والازار، وذيل المرأة لكل ثوب تلبسه إذا جرته . كتاب العين ٨: ١٩٧ .

٢- المئزر: ثوب يتشح به . لسان العرب ١١: ٣٦٨ .

٣- شددت لهذا الأمر مئزري أي تشمرت له. لسان العرب ٤: ١٦ .

٤- الجحر: كل ثقب في الأرض . غريب الحديث - الحربي ١: ٢٤٧ .

٥- الندب ان تندب إنسانا أو قوما الى أمر في حرب تدعوهم إليه والى غيره فينتدبون أي يتسارعون. كتاب العين ٨: ٥١ .

٦- النفذ يستعمل في إنفاذ الامر ، تقول: قام المسلمون بنفذ الكتاب ، أي بإنفاذ ما فيه . كتاب العين ٨: ١٨٩ .

٧- الفشل: الرجل الضعيف الجبان ، والجمع أفشال . وقد فشل بالكسر فشلا ، إذا جبن . الصحاح ٥: ١٧٩٠.

أَنْتَ وَلا تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ[1] بِخَاثِرِكَ[2] وَذَائِبُكَ[3] بِجَامِدِكَ[4] وَحَتَّى تُعْجَلُ عَنْ قِعْدَتِكَ[5] وَتَحْذَرَ[6] مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَى[7] الَّتِي تَرْجُو وَلَكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ[8] الْكُبْرَى يُرْكَبُ جَمَلُهَا وَيُذَلُّ[9] صَعْبُهَا[10] وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا فَاعْقِلْ عَقْلَكَ وَامْلِكْ أَمْرَكَ وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ[11] ...

إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ[12] وَلا فِي نَجَاةٍ فَبِالْحَرِيِّ[13] لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لايُقَالَ أَيْنَ فُلانٌ وَاللهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ وَمَا أُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ[1]

١- الزبد: زبد السمن قبل أن يسلا ، والقطعة منه: زبدة . كتاب العين ٧: ٣٥٧.

٢- خثارة الشيء: بقيته . الصحاح ٢: ٦٤٢.

٣- الذوبان مصدر ذاب يذوب، وكل شيء أذبته فما خرج منه من الدسم فهو ذوابته، وما أذبت فهو المذوب . كتاب العين ٨: ٢٠٢.

٤- جامدة: صلبة . كتاب العين ٦: ٨٩.

٥- القعدة ضرب من القعود ، يقال: قعد قعدة الدب وقعدة الرجل: مقدار ما أخذ من الارض، يقال: أتانا بثريدة مثل قعدة الرجل . كتاب العين ١: ١٤٢.

٦- الحذر: التحرز . الصحاح ٢: ٦٢٦.

٧- الهوينى تصغير الهونى تأنيث الاهون التؤدة والرفق والسكينة والوقار وانه ليأخذ امره بالهون بالضم اي الاهون . تاج العروس ٩: ٣٦٩.

٨- الدهياء: الداهية من شدائد الدهر. كتاب العين ٤: ٧٧.

٩- الذل مصدر الذلول أي المنقاد من الدواب . كتاب العين ٨: ١٧٦.

١٠- الصعب: نقيض الذلول من الدواب. كتاب العين ١: ٣١١.

١١- التنحية الازالة إلى جانب اليمين أو الشمال أو خلف أو قدام. الفروق اللغوية: ٤٣.

١٢- الرحب بالضم: السعة. تقول منه: فلان رحب الصدر. والرحب، بالفتح: الواسع، تقول منه بلد رحب وأرض رحبة، وقد رحبت بالضم ترحب رحبا ورحابة. وقولهم: مرحبا وأهلا، أي أتيت سعة وأتيت أهلا فاستأنس ولا تستوحش. الصحاح ١: ١٣٤.

١٣- الحري: الجدارة . تقول: هو حري: أي: خليق . كتاب العين ٣: ٢٨٦ .

أَيْـنَ فُـلانٌ وَاللهِ إِنَّـهُ لَحَـقٌّ مَـعَ مُحِـقٍّ وَمَـا أُبَـالِي مَـا صَـنَعَ الْـمُلْحِدُونَ[1] وَالسَّلامُ»[2].

قوله: «**أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ**». قال ابن أبي الحديد: (أراد به أنّ أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة: إنّ عليّا إمام هدى وبيعته صحيحة، إلا أنّه لا يجوز القتال معه مع أهل القبلة، وهذا القول بعضه حقّ وبعضه باطل)[3].

والقول الذي بلغه عنه هو نهى الناس وتثبيطهم عن النهوض إليه، وذلك قول هو له باعتبار ظاهر الدين ونهيه عن الخوض في الفتن، وهو عليه من وجوه:

الأوّل: كان معلوما من همّه أنّه لم يقصد بذلك إلا قعود الناس عنه، وفهم منه ذلك. وهو خذلان للدين في الحقيقة وهو عائد عليه بمضرّة العقوبة منه عليه السلام ومن الله تعالى في الآخرة.

الثاني: أنّه لمّا كان عليه السلام على الحقّ في حربه كان تثبيط أبي موسى عنه جهلا بحاله وما يجب من نصرته والقول بالجهل عائد على القائل بالمضرّة.

الثالث: أنّه في ذلك القول مناقض لغرضه لأنّه نهى عن الدخول مع الناس ومشاركتهم في زمن الفتنة وروى خبرا يقتضى أنّه يجب القعود عنهم حينئذ مع أنّه كان أميرا يتهافت على الولاية وذلك متناقض فكان عليه

١- ألحد في دين الله ، أي حاد عنه وعدل . الصحاح ٢: ٥٣٤ .

٢- نهج البلاغة الكتاب: ٦٣ محمد عبده ٣: ١٢١ .

٣- شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد ١٧: ٢٤٧.

لا له.

ثمّ أمره عند قدوم رسوله عليه بأوامر على سبيل الوعيد والتهديد بقوله: «**فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ وَاشْدُدْ مِئْزَرَكَ**». وهما كنايتان عن الاستعداد للقيام بواجب أمره والمسارعة إلى ذلك.

قوله: «**وَاخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ**» وأراد خروجه من الكوفة. واستعار له لفظ الجحر ملاحظة لشبهه بالثعلب ونحوه.

قوله: «**وَانْدُبْ مَنْ مَعَكَ فَإِنْ تَحَقَّقْتَ**». أي عرفت حقيقة أمري وأنّي على الحقّ.

قوله: «**فَانْفُذْ وَإِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ**». أي ان جبنت وضعفت عن هذا الأمر ومعرفته فاقعد عنه.

ثمّ توعّده على تقدير قعوده بقوله: «**وَايْمُ الله لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ وَلا تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ**». وهما مثلان كنّى بهما عن خلط أحواله الصافية بالتكدير كعزّته بذلّته وسروره بغمّه وسهولة أمره بصعوبته.

قوله: «**وَحَتَّى تُعْجَلُ عَنْ قِعْدَتِكَ**» أي: لا تمهل حتّى تقعد، فبعث عليه السلام إليه الأشتر وكان على المنبر فلم يمهله يتم كلامه.

قوله: «**وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ**». وهو كناية عن كمال توجّه أسباب الخطر، فإنّ الإنسان غالبا يحذر من خلفه الذي لا يراه، لا من أمامه الذي نصب عينيه. وهي إشارة إلى أنّه إن أدام برأيه في الخذلان عنه، لم ينحصر خوفه بمن يأتيه من عنده، بل يحصل له الخوف من بلد هو فيه،

فقد عرفت أنّه لمّا جاءه الأشتر وهدّده نهب النّاس متاعه.

أو انه أراد يأتيك أهل البصرة وأهل المدينة فتكون كما قال تعالى: ﴿**إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا**»[1].

قوله: «**وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَى**» أي وما القصّة المعهودة لك بالهيّنة السهلة الّتي ترجو أن تكون فيها على اختيارك.

قوله: «**الَّتِي تَرْجُو وَلَكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى يُرْكَبُ جَمَلُهَا**» ولكنّها الداهية الكبرى من دواهي الدهر ومصائبه فيهزم الناكثين وأهل الجمل.

قوله: «**وَيُذَلُّ صَعْبُهَا وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا**» في القاسطين، فيقتل عليه السلام منهم حتّى أرادوا الفرار.

ثمّ أردف وعيده وتحذيره بنصيحته وأمره بأوامر:

أحدها: قوله: «**فَاعْقِلْ عَقْلَكَ**». وعقله يحتمل النصب على المصدر وهو أمر له أن يراجع عقله ويعتبر هذا الحال العظيمة دون هواه. وقيل: هو مفعول به: أي اضبط عقلك واحبسه على معرفة الحقّ من الباطل ولا تفرّقه فيما لا ينبغي.

الثاني: قوله: «**وَامْلِكْ أَمْرَكَ**». أي شأنه وطريقته، ويصرفها على قانون العدل والحقّ دون الباطل.

الثالث: قوله: «**وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ**

١- الأحزاب: ١٠.

رَحْبٍ وَلا فِي نَجَاةٍ» أن يأخذ نصيبه وحظّه من طاعته والقيام بأمره في نصرته والذبّ عن دين الله. وقيل: أراد خذ ما قسّم لك من الحظّ ولا تتجاوز إلى ما ليس لك.

قوله: «**فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لا يُقَالَ أَيْنَ فُلانٌ**» يأخذ البيعة من أهل الكوفة رجال كثيرون، ولا يحتاج ذلك إليك حتّى يسأل عنك ولا أثر لوجودك.

قوله: «**وَالله إِنَّهُ لَحَقٌّ**» أي الأمر المعهود الذي فعله من حربه بالبصرة. «**مَعَ مُحِقٍّ**» أي صاحب محقّ لما يدّعيه، عالم به. قال ابن أبي الحديد: (إشارة إلى قول النّبيّ صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام: «**اللهمّ أدر الحق معه حيثما دار**»»[1].

قوله: «**وَمَا أُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ**» في دين الله من مخالفته لمعرفته أنّه على الحقّ دونهم. كأبي موسى ومن تخلّف عنه، ومر قول الأشتر لأبي موسى: فوالله إنّك لمن المنافقين قديما.

***

١- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٩.

الفصل السادس

أحداث معركة الجمل

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ذي قار[1]:

ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة قال عبد الله بن العباس: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف[2] نعله فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال عليه السلام: والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقا أو أدفع باطلا ثم خرج عليه السلام فخطب الناس فقال: «**إِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَلا يَدَّعِي[3] نُبُوَّةً فَسَاقَ[4] النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ[5] مَحَلَّتَهُمْ وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ[6]**

١- ذو قار: بين الكوفة والبصرة وهي إلى البصرة أقرب . تاج العروس ٧: ٤٢٦.

٢- خصف النعل ، يخصفها ، خصفا ، ظاهر بعضها على بعض ، وخرزها ، وكل ما طورق بعضه على بعض فقد خصف. تاج العروس ١٢: ١٧١.

٣- الادعاء: الترويج إلى مذهب من غير دليل. الفروق اللغوية: ٥٣٤.

٤- السوق: الحث على السير . الفروق اللغوية: ١٧٥ – ١٧٦.

٥-الباءة والمباءة: منزل القوم حين يتبوؤون في قبل واد، أو سند جبل، ويقال بل هو) كل منزل ينزله القوم، يقال: تبوءوا منزلا. وقال تعالى: (ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق). كتاب العين ٨: ٤١١.

٦- المنجاة: ما ارتفع عن المسيل . غريب الحديث - ابن قتيبة ٢: ٢١٦.

فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ[1] وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُم[2]. أَمَا وَالله[3] إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا[4] حَتَّى وَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا[5] مَا عَجَزْتُ[6] وَلا جَبُنْتُ وَإِنَّ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا فَلانْقُبَنَّ[7] الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ مَا لِي وَلِقُرَيْشٍ وَالله لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلاقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ[8] وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ»[9].

قوله: «**والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقا أو أدفع باطلا**». هذه المحاورة الرائعة التي تكشف عن الهدف الأعلى للإمام من الخلافة وإن غاية الحكم عنده ليس أن يعتلي كرسي الحكم بل مهمة الحكم

١- القناة: كل شيء كانت له صلابة ومتانة. النهاية في غريب الحديث ٤: ٢٨٦.

٢- الصفاة: الصخرة . غريب الحديث - ابن قتيبة ٢: ١٣٦.

٣ـ أَمَا وَالله: أما هنا تأكيد للكلام واليمين كقولك أما إنه لرجل كريم، وفي اليمين كقولك: أما والله لئن سهرت لك ليلة لأدعنك نادما، أما لو علمت بمكانك لأزعجنك منه. لسان العرب ١٤: ٤٦ .

٤ـ سَاقَتِهَا: الساقة جمع سائق، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة، ويكونون من ورائه يحفظونه. النهاية في غريب الحديث ٢: ٤٢٤ .

٥ ـ الحذافير: الجوانب. وقيل الأعالي، واحدها حذفار، وقيل حذفور: أي فكأنما أعطي الدنيا بأسرها. ومنه حديث المبعث (فإذا نحن بالحي قد جاءوا بحذافيرهم) أي جميعهم. النهاية في غريب الحديث ١: ٣٤٣ .

٦- أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه . والعجز نقيض الحزم . وعجز يعجز عجزا فهو عاجز ضعيف . كتاب العين ١: ٢١٥.

٧- النقب في الحائط ونحوه يخلص فيه إلى ما وراءه ، وفي الجسد يخلص فيه إلى ما تحته من قلب أو كبد . كتاب العين ٥: ١٧٩.

٨- المفتون: الفتنة، صيغ المصدر على لفظ المفعول كالمعقول والمجلود. لسان العرب١٣: ٣١٨.

٩- نهج البلاغة الخطبة: ٣٣ محمد عبده ١: ٨٠ .

وغاية الحاكم أن يبسط سلطان الحق والعدل بين الناس وإلا فلا قيمة للحكم بل يسقط اعتباره ولا يعود له مبرر في الوجود والبقاء.

قوله: «**إِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً**». قدم الإمام هذه المقدمة ليدخل منها إلى مقصوده وهو مبررات حربه للبغاة وإنها كحرب رسول الله لقريش وهي كافرة بينما الآن يحاربها الإمام وهي ضالة منحرفة ثم بين نقمة قريش عليه وسبب ذلك فذكر مبعث رسول الله المبارك وإنه سبحانه بعثه نبيا وليس في العرب كافة من يقرأ كتابا.

قوله: «**وَلا يَدَّعِي نُبُوَّةً فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُم**». فقام بدوره الرسالي في تقويم الأمة وتعديلها فساق الناس بجهاده وكفاحه حتى أسكنهم مكانهم اللائق بهم من حيث إيصالهم إلى زيادة الأمم وقيادة العالم وأوصلهم إلى سعادتهم وما ينجيهم من النار.

قوله: «**فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ**» الإشارة بسوقه لهم إلى سوقه العقليّ لأذهانهم بحسب المعجزات إلى تصديقه فيما جاء به بحسب ما جاءهم من القرآن الكريم والسنّة النبويّة وإلى معرفة سبيل الله، ثمّ بحسب الترغيب لبعضهم والترهيب للبعض إلى سلوك تلك السبيل. فأصبحوا وقد تبوّؤوا محلّتهم: أي منزلتهم ومرتبتهم الّتي خلقوا لأجلها، وكانت هي مطلوب العناية الأزليّة بوجودهم في هذا الدار وهي لزوم القصد في سبيل الله المسمّى إسلاما ودينا وإيمانا وهو في الحقيقة المنجاة الّتي لا خوف على سالكها ولا سلامة للمنحرف عنها.

قوله: «**فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ**». أي قوتهم والغلبة والدولة الّتي حصلت لهم مجازا وهو من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب فإنّ الرمح أو الظهر سبب للقوّة والشدّة، ومعنى إسناد الاستقامة إليها انتظام قهرهم ودولتهم.

قوله: «**وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُم**». استعارة للفظ الصفاة لحالهم الّتي كانوا عليها، ووجه المشابهة أنّهم كانوا قبل الإسلام في مواطنهم وعلى أحوالهم متزلزلين لايقرّ بعضهم بعضا في موطن ولا على حال بل كانوا أبدا في الغارة والنهب والجلاء. فكانوا كالواقف على حجر أملس متزلزل مضطرب. فاطمأنّت أحوالهم وسكنوا في مواطنهم. كلّ ذلك بسبب مقدم محمّد صلى الله عليه وآله.

قولـه: «**أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى وَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا مَا عَجَزْتُ وَلا جَبُنْتُ**». ذكر عليه السلام دوره في استقامة أمور العرب واستقرارهم وإنه من الذين ساقوها أمامهم ودفعوها للإسلام والإيمان وهذا واضح سليم فإن نظرة واحدة إلى معارك الإسلام وغزواته يقف الإنسان على مدى ما قدمه الإمام في هذا السبيل ويرى بأم عينه دوره في نشر الإسلام والقضاء على الكفر وهكذا بقي مجاهدا حتى تولت الجاهلية بكل عاداتها وتقاليدها ومواريثها السخيفة، لم يعجز عن أداء مهمة أو ينكل في موقف أو يتخاذل ويخاف من عدو في حال بل هو القوي في كل موقف والشجاع أمام كل حادثة وأمام كل بطل.

قوله: «**وَإِنَّ مَسِيرِي هَذَا لِـمِثْلِهَا**». أي لمثل تلك الحال الّتي كنت عليها معهم زمان كفرهم من سوق كتائبهم وطردها من غير جبن ولا ضعف. وهو في معنى التهديد الّذي عساه أن يبلغ خصومه وتقوى به

نفوس أوليائه.

قوله: «**فَلانَقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْـحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ**». يشير إلى انه كما كان سيبقى وهذه المسيرة التي هو فيها والتي يقودها مثل التي كانت مع رسول الله على الحق ولسوف يشق الباطل فيقضي على البغاة من أجل أن تتحد الأمة وتتوحد وتفيئ الفئة الباغية إلى حكم الله أو يقضى عليها.

قوله: «**مَا لِي وَلِقُرَيْشٍ**». استفهام على سبيل الإنكار لما بينه وبينهم ممّا يوجب الاختلاف وجحد فضيلته، وحسم لأعذارهم في حربه.

قوله: «**وَالله لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ**». إظهار للمنّة عليهم بسوقه لهم إلى الدين أوّلا وتعيير لهم بما كانوا عليه من الكفر ليعترفوا بفضيلته ونعمة الله عليهم به وليخجلوا من مقابلته بالباطل وهو إظهار الإنكار عليه إذ كانوا أولى بإتيان المنكر منه وهو أولى بردّهم عنه آخرا كما كان أوّلاً.

قوله: «**وَلاقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ**». هو تهديد بأن يوقع بهم القتال على فتنتهم وضلالتهم على الدين. وكافرين ومفتونين نصبا على الحال، وفي ذكر هذين الحالين تنبيه على علّة قتاله لهم في الحالتين وهو طلبه لاستقامتهم على الدين ورجوعهم إلى الحقّ عن الضلال وإغراء السامعين بهم.

وقوله: «**وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ**». فهو صاحبهم الذي يعرفونه جيدا ويعرفون مواقفه المشهورة وهو صاحبهم اليوم أيضا، الذي يقف في وجوههم ويقاومهم ويردهم إلى الطاعة والانقياد ويخلصهم من الفتنة والانحراف فهو لهم اليوم مفتونين كما كان لهم بالأمس كافرين.

النصيحة لأصحاب الجمل:

لقد أشارت نصوص نهج البلاغة إلى نصيحته لأهل الجمل ومن ذلك كلام له عليه السلام لابن العباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه[1] إلى طاعته قبل حرب الجمل فقال: «**لا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ**[2] **عَاقِصاً**[3] **قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ**[4] **وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ وَلَكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً**[5] **فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي**[6] **بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا**[7]»[8].

١- فلان سريع الفيء من غضبه . وفاء من غضبه: رجع ، وإنه لسريع الفيء والفيئة والفيئة أي الرجوع ، وإنه لحسن الفيئة ، بالكسر مثل الفيقة ، أي حسن الرجوع . لسان العرب ١: ١٢٥.

٢-الثور: الذكر من البقر كتاب العين ٨: ٢٣٢.

٣- العقص: التواء في قرن الشاة والتيس ، ويستعمل في كل ذي قرن ، يقال: شاة عقصاء أي ملتوية القرن . كتاب العين ١: ١٢٧.

٤- الصعب من الدواب: نقيض الذلول ، والأنثى: صعبة ، والجمع صعاب . وأصعب الجمل: لم يركب قط . لسان العرب ١: ٥٢٤.

٥- العريكة: الطبيعة . وفلان لين العريكة ، إذا كان سلسا. الصحاح ٤: ١٥٩٩.

٦- التنكر: التغير عن حال تسرك إلى حال تكرهها . والنكير اسم للانكار الذي يعنى به التغير . كتاب العين ٥: ٣٥٥.

٧- ما عداك عن كذا، أي: ما صرفك عنه. يراد: أنه سريع الانصراف والملال. وذو بدوان: من قولك: بدا لي كذا. يقال: فلان ذو بدوات، إذا كان لايزال له رأي جديد. ومنه يقال: ما عدا مما بدا. أي: ما صرفك عما كنت عليه. غريب الحديث، ابن قتيبة ٢: ٣٦٢.

٨- نهج البلاغة الخطبة: ٣١ محمد عبده ١: ٧٦ .

فالإمام عليه السلام لمّا نهى ابن عبّاس عن لقاء طلحة بحسب ما رأى في ذلك من المصلحة نبّهه على علّة وجه نهيه عنه بقوله: «**لا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ**» استعار لفظ القرن وكنّى به عن شجاعته، وما يتبع تعاطيه بالقوّة والشجاعة من منع الجانب وعدم الانقياد تحت طاعة الغير اللازم عن الكبر والعجب بالنفس الّذي قد تعرض للشجاع. ووجه الاستعارة أنّ القرن آلة للثور بها يمنع ما يراد به عن نفسه. وكذلك الشجاعة يلزمها الغلبة والقوّة ومنع الجانب.

قوله: «**عَاقِصاً قَرْنَهُ**» ويحتمل في وجه الاستعارة الثانية أمران:

الأول: أنّ الثور عند إرادة الخصام يعقص قرنيه أي يرخى رأسه ويعطف قرنيه ليصوّبهما إلى جهة خصمه. ويقارن ذلك منه نفح صادر عن توهّم غلبته لمقاومه وشدّته عليه وأنّه لا قدر له عنده كذلك المشبّه هينها علم منه عليه السلام أنّه عند لقاء ابن عباس له يكون مانعا جانبه، متهيّئا للقتال، مقابلا للخشونة وعدم الانقياد له الصادر عن عجبه بنفسه وغروره لشجاعته. فذلك حسن التشبيه.

الثاني: أن يكون وجه الشبه هو التواء طلحة في آرائه وانحرافه عنه عليه السلام الشبيه بالتواء القرن. وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس.

قوله: «**يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ وَلَكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً**» ويكنّى بالعريكة عن الطبع والخلق كناية بالمستعار. فيقال: فلان ليّن العريكة إذا كان سهل الجانب لا يحتاج فيما يراد منه إلى تكلّف ومجاذبة قويّة كالجلد الليّن الّذي يسهل عركه. وفلان شديد العريكة: إذا كان بالضدّ

بذلك. وظاهر أنّ الزبير كان سهل الجانب. فلأجل ذلك أمره بلقائه لما عهد من طبيعته أنّها أقبل للاستدراج، وأقرب إلى الانفعال عن الموعظة، وتذكّر الرحم.

قوله: «**فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ**» كان عليه السلام كالنبيّ صلى الله عليه وآله ابن خال الزبير لأبيه، فكانت صفيّة أم الزبير من أم حمزة دون أبي طالب وعبد الله، وكان الزبير يعدّ أوّلا من الهاشميين من قبل أمه - وإن كان أسديا أبا- لكونه معه عليه السلام يوم السقيفة حتّى نشأ ابنه عبد الله المبغض له عليه السلام من قبل أمه أسماء بنت أبي بكر.

وقد عبّر عليه السلام بقوله: «**ابْنُ خَالِكَ**» استعطافا، فقالوا نظير قول هارون: «**ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**»[1]. فإنّ فيه من الاستمالة والاسترقاق بتذكيره حقّ الإخوة ممّا يدعو إلى عطفه عليه ممّا لم يوجد في كلام آخر.

قوله: «**عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ**» أيام السقيفة عند ما وقفت إلى جانبي وطالبت بحقي وأبيت أن تبايع أبا بكر ثم عند ما جعلها عمر شورى كنت معي وقد بايعتني.

قوله: «**وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ**» حيث نصب له الحرب بالعراق.

قوله: «**فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا**» أي ما الّذي جاوز بك عن بيعتي ممّا بدا لك

١- الاعراف: ١٥٠.

بعدها من الأمور الّتي ظهرت لك. فالإمام لم يغيّر ولم يبدّل وإنما الزبير هو الذي بدّل وغيّر حيث رأى الإمرة فأحبها وطلبها وسعى جهده من أجلها حتى قاد الجيوش لانتزاعها من أهلها وممن هو أحق بها منه.

سيرته عليه السلام في القتال في حرب الجمل:

كانت للإمام عليه السلام مجموعة من التوجيهات في القتال يوم الجمل نقل بعضها الشريف في نهج البلاغة في مجموعة من النصوص:-

النص الأول: من كلام له عليه السلام: «**وَقَدْ أَرْعَدُوا**[1] **وَأَبْرَقُوا**[2] **وَمَعَ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ**[3] **وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ**[4] **وَلا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ**»[5].

قوله: «**وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا**» والإشارة إلى طلحة والزبير وأتباعهما، والكلام في معرض الذّم، واستعار لفظ الإرعاد والإبراق لوعيدهم وتهديدهم له بالحرب ووجه الاستعارة كون الوعيد من الأمور المزعجة كما أنّ الرعد والبرق كذلك.

١- الرعد: الصوت الذي يسمع من السحاب . الصحاح ٢: ٤٧٤.

٢- البروق: بيض السحاب ، وبرق يبرق بروقا وبريقا ، وأبرق. كتاب العين ٥: ١٥٦) أرعد لي فلان وأبرق إذا هدد وأوعد. كتاب العين ٢: ٣٤.

٣- الفشل: الجزع والجبن والضعف . النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٤٩.

٤- أوقع بهم فلان فتركهم حوثا بوثا أي فرقهم. لسان العرب ٢: ١٣٩.

٥- نهج البلاغة الخطبة: ٩ محمد عبده ١: ٤٢ – ٤٣.

قوله: «**وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ**» كما أشار إليه عليه السلام في تعليم كيفيّة الحرب مخاطبا لأصحابه: «**وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ**»[1]. وقال لأصحابه في غزوة الجمل: : «أيها الناس غضوا أبصاركم وعضوا نواجذكم وأكثروا من ذكر ربكم وإياكم وكثرة الكلام فإنه فشل»[2].

وذلك أنّ التهديد والتوعد قبل إيقاع الحرب والضوضاء، والجلبة أمارة للجبن والعجز، والصمت والسكون أمارة الشجاعة.

قوله: «**وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ وَلا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ**» فكما أنّ السحاب إن وقع المطر منه برعده وبرقه وإسالته بإمطاره تكون له فضيلة فكذلك أقواله مقرونة بأفعاله لا خلف فيها وإسالة عذابه مقرونة بإمطاره ومفهوم ذلك أنّ خصمه يهدّده بالحرب من غير قوّة نفس ولا إيقاع لها فأشبه ذلك الرعد من غير إيقاع للمطر، والسيل من غير مطر وهذه ليست فضيلة بل هي رذيلة.

النص الثاني: من كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل: «**تَزُولُ[3] الْجِبَالُ وَلا تَزُلْ عَضَّ[4] عَلَى نَاجِذِكَ[5] أَعِرِ[6] اللهَ**

١- المصدر نفسه الخطبة: ١٢٣ محمد عبده ٢: ٣٤.

٢-كتاب الفتوح - أحمد بن أعثم الكوفي ٢: ٤٧٢.

٣- الزائلة: كل شيء يتحرك . الصحاح ٤: ١٧١٩ .

٤- عضض: العض: الشد بالأسنان على الشيء . لسان العرب ٧: ١٨٨ .

٥- الناجذ: آخر الاضراس . الصحاح ٢: ٥٧١ .

٦- أعرته الشيء: مأخوذة من عار الفرس إذا ذهب من صاحبه لخروجها من يد صاحبها . مجمع البحرين ٣: ٢٧٧.

جُمْجُمَتَكَ[1] **تِدْ**[2] **فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ**[3] **ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى**[4] **الْقَوْمِ وَغُضَّ**[5] **بَصَرَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ»**[6].

وقد أشار عليه السلام في هذا الفصل إلى أنواع آداب الحرب وكيفيّة القتال فنهاه أوّلا عن الزوال وأكّد عليه بقوله: «**تَزُولُ الْجِبَالُ وَلا تَزُلْ**» وهو نهي عن الزوال مطلقا لأنّ النهي عنه على تقدير زوال الجبال مستلزم للنهي عنه على تقدير آخر بطريق الأولى إذ القصد به المبالغة في النهي والأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**»[7].

ثمّ أردف ذلك بخمسة أوامر:

الأول: قوله: «**عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ**» وذلك لاستلزامه أمرين:-

١- ربط الجأش عن الفشل والخوف، والإنسان يشاهد ذلك في حال البرد والخوف الموجبين للرعدة فإنّه إذ عضّ على أضراسه تسكن رعدته

١- الجمجمة: القحف وما تعلق به من العظام . كتاب العين ٦: ٢٨ .

٢- الوتد والود: ما رز في الحائط أو الأرض من الخشب، والجمع أوتاد. لسان العرب ٣: ٤٤٤.

٣- القدم: ما يطأ عليه الانسان من لدن الرسغ فما فوقه. كتاب العين ٥: ١٢٢ .

٤- قصا المكان يقصو قصوا: بعد فهو قصى وأرض قاصية وقصية. الصحاح ٦: ٢٤٦٢.

٥- غض طرفه، أي خفضه . وغض من صوته . وكل شيء كففته فقد غضضته ، والامر منه في لغة أهل الحجاز اغضض . الصحاح ٣: ١٠٩٥ .

٦- - نهج البلاغة الخطبة: ١١ محمد عبده ١: ٤٣ .

٧- الصف: ٤.

ويتمالك بدنه.

٢- أنّ الضرب مع ذلك في الرأس لا يؤثّر كثير ضرر كما قاله عليه السلام في مواضع أخر: «**وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ**»[1]، وكان ذلك لما فيه من جمع القوّة والتصلّب.

٣- أنه كناية عن تحميله الغيظ وأن يكون حاله حال المقهور الذي يحنق على خصمه ويغتاظ فيعض على نواجذه ويطلب الانتقام وشفاء غيظ صدره ليرتاح.

الثاني: قوله: «**أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ**» ويحتمل كلامه عدة معاني:-

١- إنها استعارة وتشبيه لجمجمته بالآلة التي تستعار للانتفاع بها ثمّ ترّد، فانتفاع دين الله وحزبه بمحمّد على هذا الوجه يشبه للانتفاع بالعارية.

٢- إن ذلك تنبيه لمحمّد صلى الله عليه وآله على أنّه لا يقتل في ذلك الحرب إذ ما أعير الله لابد من رده بكمال السلامة، وفيه تثبيت لجأشه وربط لقلبه.

٣- ما ذهب إليه ابن أبي الحديد قال: «يمكن أن يكون في كلامه عليه السلام إشعار انّه لا يقتل في تلك الحرب، لأن العارية مردودة، ولو قال له «بع الله جمجمتك» لكان ذلك إشعارا له بالشهادة»[2].

أقول: بل أعلمه ببقاء أجله، فقد روي انه عليه السلام بعث إلى ابنه محمد ـ وكان صاحب رايته ـ احمل على القوم، فأبطأ كان بإزائه قوم من الرماة

١- نهج البلاغة الخطبة: ٦٦ محمد عبده ١: ١١٤.

٢- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ١: ٢٤٢.

ينتظر نفاد سهامهم، فأتاه عليه السلام فقال له: هلا حملت فقال: لا أجد متقدّما إلا على سهم أو سنان، وإني لمنتظر نفاد سهامهم ثم أحمل. فقال عليه السلام: احمل بين الأسنة فان للموت عليك جنة»[1].

الثالث: قوله: «**تِدْ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ**» ثبتّ أقدامك في الأرض واجعلها كالوتد لا تتحرك ولا تتزلزل وإنك متى ثبت ثبت غيرك كما هو حال الوتد بالنسبة لما يربط به. قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**»[2].

وذلك لاستلزام أمرين:

١ ـ ربط الجأش واستصحاب العزم على القتال.

٢ ـ أنّ ذلك مظنّة الشجاعة والصبر على المكاره فيكون من موجبات انفعال العدوّ وانقهاره.

الرابع: قوله: «**ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ**» فلا تنكّس رأسك ولا يرهبك من كان قريبا منك بل انظر إلى آخر القوم واقصد إليه فاجعله مطمح نظرك وغاية وصولك فإن الهمم العالية تجعل هدفها أهم الأمور وأعظمها وفي الحروب ينظر إلى النصر وهو لا يتم إلا بالتغلب على أقصى القوم. وروي عنه عليه السلام انه قال: من كثر فكره في العواقب لم يشجع[3].

١- مروج الذهب ٢: ٣٦٦.

٢- الانفال: ٤٥.

٣- المناقب - الموفق الخوارزمي: ٣٧٦.

الخامس: قوله: «**وَغُضَّ بَصَرَكَ**» عما في أيدي أعدائه من السيوف والعتاد لئلا يؤخذ بها وينهزم نفسيا من رؤيتها، والنظر المحمود في الحرب أن يلحظ خزرا فعل الحنق المترصّد للفرصة كما قال عليه السلام في غير هذا الموضع: «**وَالْحَظُوا الْخَزْر**»[1].

ثمّ لمّا نبّه بهذه الأوامر الخمسة أمره بقوله: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ**» وهذه عقيدة المؤمن ومنها ينطلق فهو يعمل بما أمر الله من إعداد العدة والتأهب وتوفير جميع متطلبات المعركة ثم يجعل على رأس ذلك كله وفي صلب معادلته إرادة الله وحكمه فهو الذي ينزل نصره وهو الذي يمسكه ويمنعه بيده الأمور كما قال تعالى: ﴿**وَما جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**»[2] أيضا قوله تعالى: ﴿**وَما جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[3] ليتأكّد ثباته بثقته بالله عنه ملاحظة قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ**﴾[4].

١- نهج البلاغة الخطبة: ٦٦ محمد عبده ١: ١١٤.

٢- آل عمران: ١٢٦.

٣- الانفال: ١٠.

٤- محمد: ٧.

السياسة التي اتبعها أمير المؤمنين عليه السلام مع أهل البصرة بعد الواقعة:

لما انتصر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على الناكثين لم يفعل بهم كما يفعل الجبابرة الطغاة مع أعدائهم من التنكيل والهتك للحرمات بل عفا عنهم وعاملهم بالحسنى وقد بين الإمام أمير المؤمنين تلك الرحمة الإنسانية في الرسالة التي أرسلها إلى أهل البصرة يذّكرهم فيها بما كان منهم في واقعة الجمل وكيف نكثوا العهد وخالفوا الأمر ويذكرهم بما كان منه، ويهددهم إن عادوا لمثلها وهو ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «**وَقَدْ كَانَ مِنِ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ**[1] **وَشِقَاقِكُمْ**[2] **مَا لَمْ تَغْبَوْا**[3] **عَنْهُ فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ**[4] **وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ**[5] **وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ**»[6].

قوله: «**وَقَدْ كَانَ مِنِ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ**» استعار لفظ الحبل لبيعتهم إيّاه، ووجه الاستعارة كون البيعة سببا جامعا لها وناظما لأمورهم ومتمسّكا يوصل إلى رضاه الله كالحبل الناظم لما يربط به. وهو كقوله تعالى: «**وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً**»[7].

١- النشر: القوم المتفرقون الذين لا يجمعهم رئيس . لسان العرب ٥: ٢٠٨ .

٢- الشقاق: الخلاف. والخارجي يشق عصا المسلمين ويشاقهم خلافا. كتاب العين ٥: ٧.

٣- تغاب عن كل ما لا يصح لك: أي تغافل وتباله . لسان العرب ١٥: ١١٥ .

٤-المجرم: المذنب ، والجارم: الجاني. كتاب العين ٦: ١١٩ .

٥- دبر كل شيء خلاف قبله . كتاب العين ٨: ٣١ .

٦- نهج البلاغة الكتاب: ٢٩ محمد عبده ٣: ٣٦.

٧- النحل: ٩٣.

والخطاب لأهل البصرة، وكانوا قد أعطوا الإمام طاعتهم وولاءهم، فولى عليهم عثمان بن حيف، وما إن دخلت أم المؤمنين البصرة بجملها مع طلحة والزبير حتى نكث أكثر أهلها بيعة الإمام، وأعلنوا عليه الحرب.

ونبّه بقوله: «**مَا لَمْ تَغْبَوْا عَنْهُ**» على علمهم بما فعلوه وتعهّدهم لفعله ليتأكّد عليهم الحجّة. اذ لم يكن ذلك منهم عن غباء أو عن غفلة بل كان عن تصميم وعلم قاموا بتنفيذه عن سابق معرفة وإصرار.

ثمّ لمّا قرّر ذنوبهم أردفها بذكر أمور قابلها بها كرما وهي ما عبر عنها بقوله: «**فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ**» ومن يستحق القتل منكم.

وقوله: «**وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ**» قد تظافرت الأخبار أنه لمّا انهزم الناس يوم الجمل أمر أمير المؤمنين مناديا ينادي: (ألا لا يذاف على جريح ولا يقتل مول ومن ألقى السلاح فهو آمن»[1]. وكان إذا أتى بأسير منهم فإن كان قاتل قتله وإن لم تقم عليه بينة بالقتل أطلقه.

***

١- السنن الكبرى البيهقي ٨: ١٨١ .

الفصل السابع

ما حدث بعد واقعة الجمل

هناك أحداث متعددة حدثت بعد واقعة الجمل وقد أشارت نصوص نهج البلاغة إلى بعضها:

١ـ تبشيره عليه السلام كل من كانت نيته كنية أصحابه:

فمن خطبة له عليه السلام لما أظفره الله بأصحاب الجمل وقد قال له بعض أصحابه وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك . فقال له عليه السلام : «أَهَوَى[١] أَخِيكَ مَعَنَا ؟» فقال نعم ، قال: «فَقَدْ شَهِدَنَا وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ[٢] فِي أَصْلابِ[٣] الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ[٤] النِّسَاءِ سَيَرْعَفُ[٥] بِهِمُ الزَّمَانُ وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ»[٦].

١- الهوى ، مقصور: الحب . كتاب العين ٤: ١٠٥.

٢- القوم: الرجال دون النساء، وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع ، لان قوم كل نبي رجال ونساء . وجمع القوم أقوام. الصحاح ٥: ٢٠١٦.

٣- الصلب: الظهر وهو عظم الفقار المتصل في وسط الظهر. كتاب العين ٧: ١٢٧.

٤- الرحم: بيت منبت الولد ووعاؤه في البطن. كتاب العين ٣: ٢٢٤.

٥- رعف الفرس الخيل: تقدمها . ورعف الدم مأخوذ من ذا ، لأنه يسبق فيجرى . غريب الحديث - الحربي ١: ١٩٩.

٦- نهج البلاغة الخطبة: ١٢ محمد عبده ١: ٤٤ .

قول الشريف الرضي: (وقد قال له بعض أصحابه وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك). ما أجمل هذه الأمنية في تلك اللحظات الكريمة إنها إشراقة في عالم الروح تتفتح لترى أخا لها في الله كان يعشق هذا النصر لأولياء الله فود أن أخاه كان شاهدا ليرى ما نصرك الله به أمير الحق على أعدائه.

ويأتي الرد العلوي ليستحضر الأخ بين المجاهدين ويدخله في عداد الشاهدين وهو ما أشار إليه بقوله: «**فَقَدْ شَهِدَنَا**» فلئن بعد بجسده فإن الروح تقربه وعلاقة الفكر توحده اتحاد الرؤية والنظرة والهوى والحب يجمع الجميع، من مات ومن هو شاهد حي .

قوله: (**وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ**» تطوى المسافات الزمنية وتقترب أقاصي الأرض بعضها من بعض وتأتي بكل صاحب رأي لتجمعه مع من يلتقي معه في الرأي.. الحب يجمع.. الهوى والميل يوحد.. الجامع مشترك يحكم الجميع ويعطي الكل حكما واحدا... من كان غائبا الآن وأحب نصرنا فهو معنا ومن بعد في زوايا العدم في أصلاب الرجال وأرحام النساء وأحب نصرنا فهو معنا ومن أحب قوما كان معهم والراضي بفعل قوم كالداخل معهم فيه.

قوله: «**سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ**» إنها استشرافة علوية وعلم علمه الله إياه يقرأ من خلاله المستقبل فيخبر عنه وكأنه عيان فيبشر المؤمنين بأن الزمن سيأتي بمن يحب أمير المؤمنين ويحب فتوحاته وبطولاته، وهؤلاء سيقوى بهم الإيمان، سيجاهدون وينتصرون ويقوى بهم الإيمان

وترتفع بهم كلمة الرحمن.

٢- مروره بقتلى الناكثين وحديثه معهم:

ومن كلام لهعليه السلام لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل:

«لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْـمَكَانِ غَرِيباً أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ أَدْرَكْتُ وَتْرِي[١] مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَأَفْلَتَنِي[٢] أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ لَقَدْ أَتْلَعُوا[٣] أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا[٤] دُونَهُ»[٥].

قوله: «**لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ**» يعني طلحة، فكان مكنيا باسم ابنه محمّد بن طلحة.

قوله: «**بِهَذَا الْـمَكَانِ غَرِيباً**» لكونه من أهل المدينة، وقد قتل في البصرة وليس هذا وطنه ولا دياره ولا القوم أهله فما أخرجه أخرجته

١- الوتر والترة: ظلامة في دم . كتاب العين ٨: ١٣٢ .

٢- أفلتني فلان اي انفلت مني ، وأفلتني أيضا: خلصني.كتاب العين ٨: ١٢٢ .

٣- وتلع فلان إذا أخرج رأسه من كل شيء كان فيه وهو شبه طلع ، غير أن طلع أعم . كتاب العين ٢: ٧٠ .

٤- وقصت رأسه وقصا: عمزته غمزا شديدا وربما اندقت منه العنق . والدابة تقص عنها الذباب وقصا بذنبها ، أي تضربه فتقتله . والدواب تقص رءوس الآكام أي تكسر رؤوسها بقوائمها . كتاب العين ٥: ١٨٧ .

٥- نهج البلاغة الخطبة: ٢١٩ محمد عبده ٢: ٢٠٣.

المطامع وحب الدنيا والتسلط والزعامة.

قوله: «**أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ**» إنه يكره لقريش أن تموت في هذه الساحة الضالة مهمة قريش ودورها أن تموت في ساحة الجهاد ضد الكفر والنفاق فكيف أضحت تقاتل الإسلام والمسلمين إنه يكره لها هذا الدور الخسيس الذي يجب أن تترفع عنه.

قوله: «**أَدْرَكْتُ وَتْرِي**» والموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه.

قوله: «**مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ**» كانوا أربعة: بنو عبد شمس وبنو نوفل وبنو المطلب وبنو هاشم، والمراد الأولان لأنّه عليه السلام من بني هاشم، وبنو المطلب كانوا معهم في الجاهلية والإسلام، كما أنّ الأولين كانوا عليهما فيهما ولا سيما الأوّل مع الأخير، وقد فسّر قوله تعالى: ﴿**هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾[1] قال : نحن وبنو أمية قلنا صدق الله ورسوله وقال بنو أمية كذب الله ورسوله[2].

قوله: «**وَأَفْلَتَنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ**». جمح تميم بن عمرو أخو سهم بن عمرو رهط عمرو بن العاص، وقد كان جمع منهم مع عايشة، هربوا ولم يقتل منهم إلا اثنان، هرب منهم عبد الله بن صفوان ويحيى بن حكيم وعامر بن مسعود ـ المسمّى دحروجة الجعل لقصره وسواده ـ وأيوب بن حبيب، وقتل منهم عبد الرحمن بن وهب وعبد الله بن ربيعة.

١- الحج: ١٩.

٢- تفسير القمي - علي بن ابراهيم القمي ٢: ٨٠ .

قوله: «**لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ**» أشار إلى أن قريش مدت أعناقها وتطاولت لتطال الخلافة وحاولت جهدها في سبيل ذلك ولكنها نالت نصيبها من القتل ولم تدرك ما أملّت لقد راحت ضحية المطامع التي لم يتحقق لها منها أقلها وأدناها.

هذا ويمكن ألا يكون المراد بقوله عليه السلام بالأمر في قوله: «**لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ**» أمر الخلافة، بل أمر الحرب، ويكون الفاعل في «**أتلعوا**» مطلق قريش، فمر في رواية (جمل المفيد): أنّه عليه السلام لمّا رأى أشراف قريش صرعى في جملة القتلى قال عليه السلام: ولقد تقدمت إليكم وحذّرتكم عض السيوف، وكنتم أحداثا لا علم لكم بما ترون، ولكن الحين ومصرع السوء. ومرت روايات أخرى في ذلك.

طلب الناكثين للبيعة ثانية:

ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة قالوا أخذ مروان بن الحكم أسيرا يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين، إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلماه فيه، فخلى سبيله. فقالا له يبايعك يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام: «**أَوَلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ**[1] **لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ**[2] **أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ وَهُوَ أَبُو**

١- إنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ: أي غادرة، واليهود تنسب إلى الغدر والخبث، وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢). شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦: ١٤٧.

٢- السب جمع السبة، وهي الدبر. لسان العرب ١: ٤٥٧ .

الْأَكْبُشِ[1] الْأَرْبَعَةِ وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ»[2].

قولـه: «أَوَلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ) قال ابن أبي الحديد: (ومعنى الكلام محمول على وجهين:

أحدهما: أن يكون ذكر السبة إهانة لـه وغلظة عليه، والعرب تسلك مثل ذلك في خطبها وكلامها، قال المتوكل لأبي العيناء: إلى متى تمدح الناس وتذمهم ؟ فقال: ما أحسنوا وأساءوا. ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى رضي عن واحد فمدحه، وسخط على آخر فهجاه وهجا أمه، قال: «نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ »[3]، وقال: «عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ»[4]، والزنيم ولد الزنا.

الوجه الثاني: أن يريد بالكلام حقيقة لا مجازا، وذلك لان الغادر من العرب كان إذا عزم على الغدر بعد عهد قد عاهده، أو عقد قد عقده، حبـق استهزاء بما كان قد أظهره من اليمين والعهد، وسخرية وتهكما[5].

قال عليه السلام ذلك وهو يعلم ما يكنه مروان للإسلام والمسلمين.

خطبته بأهل البصرة بعد فراغه من أصحاب الجمل:

على الأنبياء والأوصياء أن يوجهوا الناس إلى أخطائهم حتى لايعودوا

١- كبش الكتيبة: قائدها . كتاب العين ٥: ٢٩٨.

٢- نهج البلاغة، الخطبة: ٧٣، شرح محمد عبده ١: ١٢٣ .

٣ ـ ص: ٤٤.

٤- القلم: ١٣.

٥- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦: ١٤٧.

إليها ولكي تستفيد الأجيال القادمة من هذا الخطأ فلا تقع فيه فهذا موسى عليه السلام يوبخ بني اسرائيل لارتدادهم واتخاذهم العجل وعدم اطاعة وصيه هارون وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1] فلاشكّ أن عبادة عجل السامري لم تكن مسألة هينة، لأن بني إسرائيل شاهدوا ما شاهدوا من آيات الله ومعجزات نبيهم موسى عليه السلام، ثم نسوا ذلك دفعة، وخلال فترة قصيرة من غياب النبي انحرفوا تماما عن مبدأ التوحيد وعن الدين الإلهي. كان لابد من اقتلاع جذور هذه الظاهرة الخطرة، كي لا تعود إلى الظهور ثانية خاصة بعد وفاة صاحب الرسالة.

ومن هنا كانت الأوامر الإلهية بالتوبة شديدة لم يسبق لها نظير في تاريخ الأنبياء، وتقضي هذه الأوامر أن تقترن التوبة بإعدام جماعي لعدد كبير من المذنبين، على أيديهم أنفسهم. طريقة تنفيذ هذا الإعدام لا تقل شدة عن الإعدام نفسه، فقد صدرت الأوامر الإلهية أن يقتل المذنبون بعضهم بعضا، وفي ذلك عذابان للمذنب: عذاب قتل الأصدقاء والمعارف على يديه وماينزل به ـ هو نفسه ـ من عذاب القتل.

وجاء في الأخبار أن موسى أمر في ليلة ظلماء كل الجانحين إلى عبادة العجل ، أن يغتسلوا ويرتدوا الأكفان ويعملوا السيف بعضهم في البعض

١- البقرة: ٥٤.

الآخر . ولعلك تسأل عن السبب في قساوة هذه التوبة ولماذا لم يقبل الله تعالى منهم التوبة دون إراقة للدماء؟

الجواب: إن السبب في شدة هذا الحكم - كما ذكرنا - يعود إلى عظمة الذنب الذي ارتكبوه بعد كل ما شاهدوه من آيات ومعاجز ، وإلى أن هذا الذنب يهدد وجود الدعوة ومستقبلها لإن أصول ومبادئ جميع الأديان السماوية يمكن اختزالها في التوحيد ، فلو تزلزل هذا الأصل فإن ذلك يعني انهيار جميع اللبنات الفوقية والمباني الحضارية للدين ، فلو تساهل موسى عليه السلام مع ظاهرة عبادة العجل ، لأمكن أن تبقى سنة في الأجيال القادمة ، خاصة وأن بني إسرائيل كانوا على مر التاريخ قوما متعنتين لجوجين . ولابد إذن من عقاب صارم يبقى رادعا للأجيال التالية عن السقوط في هاوية الشرك. ولعل في عبارة قوله تعالى : ذلكم خير لكم إشارة إلى هذا المعنى.

وبعد هذا التمهيد تظهر العلة التي من اجلها وبخ الامام امير المؤمنين عليه السلام اهل البصرة بهذه الطريقة العنيفة قال عليه السلام : «**كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَعُقِرَ**[1] **فَهَرَبْتُمْ أَخْلاقُكُمْ دِقَاقٌ**[2] **وَعَهْدُكُمْ**

١- العقر: كالجرح. سرج معقر وكلب عقور يعقر الناس. وعقرت الفرس: كشفت قوائمه بالسيف، وفرس عقير معقور وكذلك يفعل بالناقة فإذا سقطت نحرها مستمكنا منها. وكل عقير معقور، وجمعه، عقرى، قال لبيد:

لما رأى لبد النسور تطيرت رفع القوادم كالعقير الأعزل

كتاب العين ١: ١٤٩ .

٢- الدقيق: خلاف الغليظ، وكذلك الدقاق بالضم. الصحاح ٤: ١٤٧٥ .

شِقَاقٌ[1] وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ[2] وَالْـمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ[3] سَفِينَةٍ قَدْ بَعَثَ الله عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا وَفِي رِوَايَةٍ وَايْمُ الله لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ أَوْ نَعَامَةٍ[4] جَاثِمَةٍ[5] وَفِي رِوَايَةٍ كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةٍ[6] بَحْرٍ أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْـمَاءِ بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ وَأُكْلَةٌ لآكِلٍ وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ»[7].

خطبته عليه السلام في ذم النساء:

قوله في خطبة لـه عليه السلام بعد حرب الجمل في ذم النساء: «مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الإِيمَانِ نَوَاقِصُ الْـحُظُوظِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ فَأَمَّا

١- الشقاق: العداوة بين فريقين والخلاف بين اثنين، سمي ذلك شقاقا لأن كـل فريـق مـن فرقتي العداوة قصد شقا أي ناحية غير شق صاحبه. وشق امره يشقه شقا فانشق: انفرق وتبدد اختلافا. وشق فلان العصا أي فارق الجماعة، وشق عـصا الطاعـة فانـشقت وهـو منه. وأما قولهم: شق الخوارج عصا المسلمين، فمعناه أنهم فرقوا جمعهم وكلمـتهم. لـسان العرب ١٠: ١٨٣.

٢- الزعاق: ماء مر غليظ. كتاب العين ١: ١٣٣ .

٣- عظام صدر الطائر. وصدر السفينة جؤجؤها، والجميع: الجآجئ. كتاب العين٦: ١٩٩.

٤- النعامة من الطير يذكر ويؤنث. الصحاح ٥: ٢٠٤٣ .

٥- جثم يجثم جثوما اي لزم مكانا لا يبرح. كتاب العين ٦: ١٠٠ .

٦- اللجة وهى معظم البحر. غريب الحديث - الحربي ١: ١٣٥ .

٧- الخطبة: ١٣، نهج البلاغة، محمد عبده ١: ٤٥.

نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ»[1].

فلمّا كانت واقعة الجمل وما اشتملت عليه من هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبا إلى رأى امرأة أراد أن ينبّه على وجوه نقصان النساء وأسبابه.

وكلامه عليه السلام وإن كان في مطلق النّساء إلا أن الباعث لـه عليه عمل عائشة.

وقد ذكر نقصانهنّ من وجوه ثلاثة:

أحدها: «**إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الإِيمَانِ**» وأشار إلى جهة النقص فيه بقعود إحداهنّ عن الصلاة والصوم أيّام الحيض، ولمّا كان الصوم والصلاة من كمال الإيمان ومتمّمات الرياضة كان قعودهنّ عن الارتياض بالصوم والصلاة في تلك الأيّام نقصانا لإيمانهن، ويمكن تصور رفع الشريعة للتكليف عنهنّ بالعبادتين المذكورتين من جهات: ـ

١ ـ كونهنّ في حال مستقذرة لا يتأهّل صاحبها للوقوف بين يدي الملك الجبّار في الصلاة.

٢ ـ وأما في الصوم فوجهه آخر إن الصوم يزيد الحائض إلى ضعفها ضعفا بخروج الدم.

١- نهج البلاغة، الخطبة: ٨٠ محمد عبدة ١: ١٢٩.

وأسرار الشريعة أدقّ وأجلّ أن يطّلع عليها عقول ساير الخلق.

وهنا ينبغي التنبيه على أمرين:

أ ـ إن الحالة تلك وإن كانت بأمر الشارع ولكنها لقصور فيهن من حيث كونهن في حالة لا تؤهلهن للقاء الله والقيام بين يديه فإن طبيعة كل مخلوق وما يتمتع به من مؤهلات.

ب ـ إن كلام الإمام عليه السلام يشير إلى أن الإيمان يقبل الزيادة والنقصان وقد وردت الأخبار بذلك.

الثاني: «**نَوَاقِصُ الْـحُظُوظِ**» وأشار إلى جهة نقصانه بأنّ ميراثهنّ على النصف من ميراث الرجال.

الثالث: «**نَوَاقِصُ الْعُقُولِ**» وبيّن ذلك بأن كل شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد.

دخوله عليه السلام على العلاء بن زياد الحارثي:

من كلام له عليه السلام بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي، وهو من أصحابه يعوده، فلما رأى سعة داره قال: «**مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ تَقْرِي[1] فِيهَا الضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْـحُقُوقَ**

---

١ - القرى: الاحسان إلى الضيف، قراه يقريه قرى، قال:

«أقريهم وما حضرت قراها»

كتاب العين ٥: ٢٠٤.

مَطَالِعَهَا فَإِذاً أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ» فَقَالَ لَهُ الْعَلاءُ: يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ. قَالَ: «وَمَا لَهُ؟» قَالَ: لَبِسَ الْعَبَاءَةَ وَتَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا. قَالَ: «عَلَيَّ بِهِ»، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: «يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ[1] لَقَدِ اسْتَهَامَ[2] بِكَ الْخَبِيثُ أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ أَتَرَى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ». قَالَ: يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ هَذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ وَجُشُوبَةِ مَأْكَلِكَ. قَالَ: «وَيْحَكَ[3] إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلا يَتَبَيَّغَ[4] بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ»[5].

١- المقصود من تحقير النعوت ليس تحقير الذات المنعوت غالبا، بل تحقير ما قام بها من الوصف الذى يدل عليه لفظ النعت، فمعنى ضويرب ذو ضرب حقير، وقولهم أسيود وأحيمر وأصيفر أي ليست هذه الالوان فيه تامة، وكذا بزيزيز وعطيطير أي الصنعتان فيهما ليستا كاملتين، وربما كانا كاملين في أشياء أخرى، وقولك (هو مثيل عمرو) أي المماثلة بينهما قليلة، فعلى هذا معنى (أصيغر منك) أي زيادته في الصغر عليك قليلة، وكذا (أعيلم منك) و(أفيضل منك) ونحوه، لان أفعل التفضيل ما وضع لموصوف بزيادة على غيره في المعنى المشتق هو منه، وقد تجئ لتحقير الذات كما في قول على (ياعدي نفسه). شرح شافية ابن الحاجب - رضي الدين الأستراباذي ١: ٢٧٩ .

٢- ناقة هامية وبعير هام، وقد همت تهمي هميا إذا ذهبت في الأرض على وجوهها لرعي أو غيره، وكذلك كل ذاهب وسائل من ماء أو مطر. غريب الحديث - ابن سلام ١: ٢٣.

٣- ويح لزيد بالرفع (وويحاله) بالنصب (كلمة رحمة). تاج العروس ٢: ٢٤٩.

٤- البيغ: تؤور الدم وفورته حتى يظهر في العروق، وقد تبيغ به الدم. كتاب العين ٤: ٤٥٤.

٥- نهج البلاغة، الخطبة: ٢٠٩، محمد عبده ٢: ١٨٧ .

قوله: «**مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ بَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ**» الدنيا إذا كانت مقدّمة للآخرة ممدوحة، وإنّما كانت مذمومة إذا كانت منظورة من حيث هي.

قوله: «**تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ**» روى أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان قال: إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: انك لما سلمت مالك للضيفان وولدك للقربان ونفسك للنيران وقلبك للرحمن، اتخذناك خليلا[1].

قوله: «**وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ**» وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة، فإن ذلك من الدين[2].

قولـه: «**وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْـحُقُوقَ مَطَالِعَهَا**» عن عبد الرحمن بن محمد العرزمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يقول إبليس ـ لعنه الله ـ: ما أعياني في ابن آدم فلن يعييني منه واحدة من ثلاث: أخذ مال من غير حله، أو منعه من حقه، أو وضعه في غير وجهه[3].

قولـه: «**فَإِذاً أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ**» وذلك لأنّه جعلها وسيلة تحصيلها.

١- الفصول المهمة في أصول الأئمة - الحر العاملي ١: ٢٤ .

٢- الكافي ٢: ١٥١ .

٣- الخصال- الشيخ الصدوق: ١٣٢.

فقال لـه العلاء: (يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زيـاد) قال: وما له قال: لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا. قال عليَّ به فلما جاء قال: «**يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ**» كلمة توبيخ له لانحرافه عن سنن الشريعة وقواعد الحـق ومـا جاء به الإسلام يا عدو نفسه الذي لا يدرك صوابها من خطئها وما ينفعهـا مما يضرها وهل هناك أشد عداء لشخص من نفسه إذا لم تعرف ما ينفـع ممـا يضر.

ثم بين له أن عمله هذا من استيلاء الشيطان عليه وتوجيهه نحو البعد عن الحقيقة «**لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ**» الشيطان ـ فالشيطان هو الذي وسوس لك ورغبك في هذا الطريق وتركك هائما على وجهك.

قولـه: «**أَ مَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ**» فهؤلاء لهم حقوق عليك، وأنت مدين لهؤلاء، فأهلك وأولادك يجب أن تعولهم وتهتم بأمورهم وتربيهم وتعتني بهم، يجب عليك إعالتهم ماديا وتربيتهم معنويا فإذا انزويت في زاوية واتخذتها مركزا للعبادة فأين تصبح حقوق هؤلاء.

قولـه: «**أَ تَرَى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا**» ثم إنك تترك الطيبات وتنهج هذا النهج في البعد عنها أترى أن الله أحلها لك وهو يكره أن تأخذها وتتناولها وكيف يبيح الله أمرا ويحله ثم يكره كراهة تحريم من تناوله فهذا مفهوم خاطئ فالله أباح الطيبات لكي يتناولها الناس.

قولـه : «**أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ**» بأن يخصك كالأنبياء والأئمة عليهم السلام بترك لذائذ الدنيا مع حلّيتها لحكم كما يأتي في كلامه عليه السلام. (قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك).

قولـه: «**وَيْحَكَ**» كلمة توجع عليه ورحمة وشفقة لما أصابه من سوء فهم. «**إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ إِنَّ الله فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ**» بل كل منا له تكليفه الخاص باعتبار موقعه الذي هو فيه، فأنا باعتبار موقعي القيادي يتطلع نحوي جميع الناس وفيهم الغني القوي والفقير المدقع فيهم الثري وفيهم المسكين المجتمع بجميع طبقاته ينظر نحوي ويدقق في كل تصرفاتي ويعرضها أمامه بدقة ومن هنا فرض الله على أئمة العدل الذين يسوسون العباد ويرعون البلاد أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس أي ينزلوا أنفسهم منزلة الفقراء والضعفاء من الناس يجب على الأمراء أن ينظروا إلى الفقراء الذين لا يملكون الثروة والغني ولا يستطيعون إدراك ما يشتهون يجب على الأمراء أن ينظروا إلى هؤلاء فيتشبهون بهم وينزلون إلى مستواهم ويعيشون معيشتهم كيلا يتبيّغ بالفقير فقره أي لا يتحرك فقر الفقراء فينتقموا من الحكم والبلاد وكذلك لتهون عليهم صعوبة الحياة ومشقاتها، لأنهم عند ما يرون أعظم شخصية في الحكم ورأس الدولة وقيادتها والرجل الأول فيها، عند ما يرون أن الحاكم والقيادة لا يميز نفسه عنهم ولا يتميز بشيء عما هم عليه تهون عليهم الدنيا فيصبروا ويرجعوا إلى الله. أما إذا كان في المجتمع من هو غني مترف فلا يشكل بالنسبة إلى غيره من أفراد الناس مشكلة لأنه لا يعنيهم كثيرا ولا يدخل في قائمتهم إلا من وجه بسيط أما الحاكم فهو من أساس قائمتهم ويدخل في كل معادلاتهم فهذا الحاكم يجب أن يكون كأضعف رعيته حتى تدوم دولته ولا تفسد نفوس رعيته.

تأميره عليه السلام ابن العباس على البصرة ووصيته له وخطبته الناس:

ولمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام الخروج من البصرة استخلف عليها عبد الله بن عباس ووصّاه وكان في وصيّته له أن قال: «**سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ**»[1].

قوله: «**سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ**» أي يبسط وجهه لهم ولتكن الطلاقة والبشر دائما بادية عليه فلا يقطب جبينه في وجوههم ولا يلاقيهم بالعبوس. «**وَمَجْلِسِكَ**» بأن يجعل نفسه معهم متواضعا لا كبر عنده ولا كلام فحش أو بذاءة فيه لئلا يجتنبه الأشراف ويتحاشاه الناس. «**وَحُكْمِكَ**» أي يجعل حكمه لهم وبينهم عادلا منصفا لا جور فيه ولا ظلم.

قوله: «**وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ**» وهو أمر بفضيلة الثبات والحلم، ونفّره بقوله: «**فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ**» ونزغاته يحرف الإنسان عن الاستقامة ويعدل به عن طريق الحق لأنه متى غضب فقد أعصابه ولم يبق له سيطرة عليها وبذلك قد يتعدى حرمات الله فيقتل ويضرب ويسب ويهين يفعل ذلك كله بغير حق ولا إذن شرعي.

ثمّ رغّبه فيما يقرّبه من الله بما يستلزمه من كونه مباعدا له من النار، ونفّره عمّا يبعّده من الله بما يستلزمه من كونه مقرّبا له إلى النار بقوله: «**وَاعْلَمْ**

١- نهج البلاغة الكتاب: ٧٦ محمد عبده ٣: ١٣٦.

أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ الله» من الأعمال الصالحة- صلاة وصوما وحجا وزكاة وصدقة وإعانة فقير وسد عوز محتاج ورفع الظلم ودفع الباطل- فإن كل ذلك **«يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ»** لأن فيه رضا الله وكلما اقترب من الله ورضاه ابتعد عن النار التي أعدها لمن عصاه. ويدخلك الجنة.

والقضية تنعكس وتكون كل الأعمال التي تبعده عن الله تقربه من النار فالرذيلة بجميع أصنافها والمعصية بجميع أفرادها مبعدة عن الله وهو ما أشار إليه عليه السلام بقوله: **«وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ الله»** وهو عصيانه وعصيان رسوله. **«يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ»** قال تعالى: **«وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها وَلَهُ عَذابٌ مُهِينٌ»**[1].

عودة أهل البصرة إلى النكث:

بعد انتقاض الأمر على أمير المؤمنين عليه السلام في اليمن وفي مصر واستشهاد محمد بن أبي بكر فكر معاوية في إفساد الأمور في البصرة فأرسل من يقوم بذلك وسانده بعض أهل البصرة فأرسل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إليهم يحذرهم من عاقبة هذا التصرف وهو ما أشار إليه عليه السلام بقوله: **«فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ[2] الأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ[3] وَسَفَهُ[4]** ...

١- النساء: ١٤.

٢- خطأ به، إذا رمى به، وضرب به الارض. الصحاح ١: ٣٩.

٣- التردي: أي من الوقوع في الهلاك. مجمع البحرين ٢: ١٧٠.

٤- السفه والسفاه والسفاهة: نقيض الحلم. كتاب العين ٤: ٩.

الآرَاءِ الْـجَائِرَةِ[1] إِلَى مُنَابَذَتِي[2] وَخِلافِي فَهَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي[3] وَرَحَلْتُ[4] رِكَابِي[5] وَلَئِنْ أَجْأَتْمُونِي[6] إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لاوقِعَنَّ بِكُمْ[7] وَقْعَةً لا يَكُونُ يَوْمُ الْـجَمَلِ إِلَيْهَا إِلا كَلَعْقَةِ[8] لاعِقٍ مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ[9] مُتَّهَماً إِلَى بَرِيٍّ وَلا نَاكِثاً[10] إِلَى وَفِيٍّ»[11].

قوله: «فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ الأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ وَسَفَهُ الآرَاءِ الْـجَائِرَةِ إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلافِي» استعار لفظ الخطو لسوق الأمور المهلكة وسفه آرائهم الجائرة بهم إلى منابذته ومحاربته ثانيا. ووجه المشابهة تأدّيها بهم إلى خلافه كتأدّي القدم بصاحبها إلى غايته. أي إن عدتم إلى الفتنة ونقض العهد بتلك الأمور والآراء من أهل الهوى والضلال .

١- الجور: نقيض العدل. كتاب العين ٦: ١٧٦.

٢- المنابذة: انتباذ الفريقين للحرب ، ونبذنا عليهم على سواء أي نابذناهم الحرب إذا أنذرهم وأنذروه . كتاب العين ٨: ١٩١.

٣- الجياد: جمع جواد ، وهو الفرس النفيس . شرح ابن عقيل ١: ٢٩١.

٤- ورحل البعير يرحله رحلا ، فهو مرحول ورحيل ، وارتحله: جعل عليه الرحل ، ورحله رحلة: شد عليه أداته . لسان العرب ١١: ٢٧٦.

٥- الركاب: الابل التي تحمل القوم . كتاب العين ٥: ٣٦٤.

٦- الجأه إلى الشيء: اضطره إليه . لسان العرب ١: ١٥٢.

٧- الوقعة والوقيعة: الحرب والقتال . لسان العرب ٨: ٤٠٣ .

٨- اللعقة بالضم: اسم ما تأخذه الملعقة . الصحاح ٤: ١٥٥٠ .

٩- المتجاوز: العادي المعتدى والمعادى . تاج العروس ١٠: ٢٣٧ .

١٠- نكث العهد ينكثه نكثا، أي: نقضه بعد إحكامه، ونكث البيعة، والنكيثة: اسمها. كتاب العين ٥: ٣٥١.

١١- نهج البلاغة الكتاب: ٢٩ محمد عبده ٣: ٣٦.

قوله: «**فَهَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي**» كنّى بتقريب جياده وترحيل ركابه عن كونه مستعدّا للكرّة عليهم.

قوله: «**وَرَحَلْتُ رِكَابِي وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ**» ويكفى ذلك في وعيدهم على خلافه لأنّ مجرّد خلافهم عليه لا يستلزم وجوب إيقاع الوقعة بهم لاحتمال أن يرجعوا ويتوبوا بوعيده أو بعلمهم ببقائه على الاستعداد لحربهم والإيقاع بهم فلذلك جعل الشرط في وعيده بالإيقاع بهم أن يلجئوه إلى المسير إليهم ومحاربتهم، وذلك بأن يعلم أنّ الأمر لا يستقيم إلا بالإيقاع بهم فيحمله ضرورة حفظ الدين على ذلك.

قوله: «**لاوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لا يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلا كَلَعْقَةِ لاعِقٍ**». كناية عن غاية شدّة إيقاعه بهم. ووجه تشبيه وقعة الجمل بالنسبة إليها باللعقة هو الحقارة والصغر.

قوله: «**مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِيٍّ وَلا نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ**» أردف كلامه في الإيعاد والتهديد بالتحبيب والتأليف فقال مع إنّي عارف بفضل ذى الطاعة منكم وحق ذي النصيحة منكم لا آخذ متّهما ببريء، ولا ناكثا بوفيّ.

تم العمل بهذا الكتاب بتوفيق من الله سبحانه وتعالى في اليوم التاسع من شهر جمادى الآخر من سنة ألف وأربعمائة وثلاثون من الهجرة على مهاجرها آلاف التحية والثناء في عش آل محمد قم المقدسة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله الطاهرين..

***

فهرس المصادر

١- **القران الكريم.**

٢- **تاريخ الطبري تاريخ الأمم والمملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان ـ بيروت.

٣- **الخصال الشيخ الصدوق** تحقيق: علي أكبر الغفاري طبعة : ١٤٠٣ هـ منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

٤- **السنن الكبرى** أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي دار الفكر - بيروت.

٥- **شرح شافية ابن الحاجب**، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي، شرح شواهده عبد القادر البغدادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان.

٦- **شرح نهج البلاغة**، عز الدين عبد الحميد بن محمد بن أبي الحديد المعتزلي، الطبعة الاولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩ م.

٧- **شرح نهج البلاغة**، محمد عبدة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٨- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، اسماعيل بن حماد الجوهري، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م.

٩- **صحيح البخاري** الامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي طبعة بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة

باستانبول الجزء الاول حقوق الطبع محفوظة للناشر ١٤٠١ هم دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٠- **العقد الفريد** ابن عبد ربه الاندلسي الطبعة:الأولى ١٤٠٤ هـ ق دار الكتب العلمية- بيروت.

١١- **غريب الحديث** أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صنع فهارسه نعيم زرزور الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م دار الكتب - العلمية بيروت - لبنان.

١٢- **غريب الحديث** الحربي تحقيق : دكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد العاير الطبعة : الأولى ١٤٠٥هـ دار المدينة للطباعة والنشر والتوزيع - جدة.

١٣- **غريب الحديث**، أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، الطبعة الاولى ١٩٦٤ م، طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند.

١٤- **الفايق في غريب الحديث** جار الله الزمخشريالطبعة : الأولى ١٤١٧ هـ دار الكتب العلمية - بيروت. فتوح البلدان البلاذري نشر وإلحاق وفهرسة : الدكتور صلاح الدين المنجد سنة الطبع : ١٩٥٦ م مطبعة لجنة البيان العربي مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

١٥- **الفروق اللغوية**، أبو هلال العسكري، الطبعة الاولى، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المقدسة، ١٤١٢ هـ.

١٦- **الفصول المهمة في أصول الائمة (تكملة الوسائل)**، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق واشراف محمد بن محمد الحسين القائيني، الطبعة الاولى

١٤١٨ هـ، مؤسسة معارف اسلامي إمام رضا عليه السلام، المطبعة نكين ـ قم.
١٧- **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الهوريني، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٤٠٦ هـ.
١٨- **الكافي**، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، الطبعة الثالثة، دار الكتب الاسلامية ـ اخوندي ـ تهران، ١٣٨٨ هق.
١٩- **كتاب العين**، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدى المخزومي الدكتور ابراهيم السامرئي، الطبعة الثانية، الناشر: مؤسسة دار الهجرة في ايران ١٤٠٩ هـ.
٢٠- **لسان العرب**، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري، الطبعة الاولى، مطبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٠٥ هـ.
٢١- **مجمع البحرين**، فخر الدين الطريحي، الطبعة الثانية، مكتب نشر الثقافة الاسلامية، ١٤٠٨ هـ.
٢٢- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٨ هـ.
٢٣- **مروج الذهب ومعادن الجوهر** علي بن الحسين بن علي المسعودي طبع في باريس ١٩٣٠ م. وطبعة دار الأندلس ، القاهرة – مصر .
٢٤- **مستدرك الحاكم**، محمد بن محمد النيسابوري، دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠٦ هـ.
٢٥- **مسند الامام أحمد**، أحمد ابن حنبل، دار صادر، بيروت.
٢٦- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** أبو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البكري طبعة مصر ١٣٦٤ – ١٣٧١ هـ .

٢٧- **معجم مقاييس اللغة** أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا تحقيق: عبد السلام محمد هارون سنة الطبع: ١٤٠٤هـ المطبعة: مكتبة الإعلام الإسلامي. مقاتل الطالبيين أبو الفرج الاصفهاني، الطبعة الثانية، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم ـ ايران منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف ١٣٨٥ هـ.

٢٨- **المناقب**، الموفق بن أحمد الحنفي الخوارزمي المعروف بأخطب خوارزم ، مكتبة نينوى ، طهران ، ١٩٦٥ م .

٢٩- **النهاية في غريب الحديث**، مجد الدين أبي السعادات المبارك الاجزري، الطبعة الرابعة، مؤسسة اسماعيليان ـ قم المقدسة،١٣٦٤ هش.

٣٠- **ينابيع المودة لذوي القربى**، سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق: سيد علي جمال اشرف الحسيني، الطبعة الاولى، دار الاسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦ هـ. ق.

***

الفهرس

المقدمة ٥
الفصل الأول: تسمية أصحاب الجمل بالناكثين ٧
تمهيد ٧
الفصل الثاني: أمر الله تعالى عليا عليه السلام بقتال الناكثين ١١
الفصل الثالث: الناس وبيعة علي عليه السلام ١٣
تمهيد ١٣
الفصل الرابع: التمهيد للنكث بالبيعة ٣٩
الدوافع المشتركة ٣٩
دوافع عائشة في مشاركتها الناكثين ٥١
دوافع طلحة من المشاركة بالمؤامرة ٥١
الفصل الخامس: مواجهة الفتنة ٥٥
الاشارة على الامام عليه السلام بعدم اتباع الناكثين ٥٥
مواجهة الامام عليه السلام لحركة الناكثين ٥٧
تصنيف الامام أمير المؤمنين عليه السلام لحركة الناكثين ٦١
الفجائع التي قام بها الناكثون ٧٢
أولا : إخراجهم عائشة معهم ٧٢
ثانيا: نكثهم للبيعة ٧٣

ثالثا: قتل المؤمنين من دون وجه حق ٧٣
رابعا : تفريق جماعة المسلمين ٧٦
تهديد الناكثين أمير المؤمنين عليه السلام بالحرب ٧٩
تثبيط أبو موسى الاشعري الناس عن نصرة الامام عليه السلام ٨٠
الفصل السادس: احداث معركة الجمل ٨٧
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ذي قار ٨٧
النصيحة لأصحاب الجمل ٩٢
سيرته عليه السلام في القتال في حرب الجمل ٩٥
الفصل السابع: ماحدث بعد واقعة الجمل ١٠٣
١- تبشيره كل من كانت نيته كنية اصحابه ١٠٣
٢- مروره بقتلى الناكثين وحديثه معهم ١٠٥
طلب الناكثين للبيعة ثانية ١٠٧
خطبته بأهل البصرة بعد فراغه من أصحاب الجمل ١٠٨
خطبته عليه السلام في ذم النساء ١١١
دخوله على العلاء بن زياد الحارثي ١١٣
تأميره عليه السلام ابن العباس على البصرة ووصيته له وخطبته الناس ... ١١٨
عودة اهل البصرة الى النكث ١١٩
فهرس المصادر ١٢٣
الفهرس ١٢٧

***

انّ القرآن الكريم وكتاب نهج البلاغة يشكلان هوية الإنسان المسلم ، و هما مصداق كلام النبي (ص) في التمسك بالثقلين ، فالقرآن هو الثقل الأول، ونهج البلاغة هو التجسد الأتم للثقل الثاني أعني العترة. ولو تدبرنا في هذا الكتاب ـ بعد تدبرنا في القرآن الكريم ـ حق التدبّر، لرأينا انّه يحتوي على خير الدنيا والآخرة ، وجدير به أن يكون منهاجاً لحياة البشرية، وطريقاً نحو السعادة الأبدية.

إنّ سلسلة (في رحاب نهج البلاغة) التي تصدرها مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف ، محاولة متواضعة لإظهار هذه الحقيقة ، حيث تهدف إلى وضع دراسات مختصرة عن هذا السفر القيم، تتناول شرح خطبة أو كتاب أو حكمة وردت في هذا الكتاب، أو دراسة موضوع معيّن، أو دفع شبهة مثارة ، كلّ ذلك لتعميم الفائدة ، وتسهيل الوصول إلى لآلئ هذا السفر القيم...

وقعة الجمل في نهج البلاغة

يتكلم المؤلف عن أهم الدوافع التي أدّت إلى معركة الجمل، وما حدث خلالها من نكث للبيعة وإراقة الدماء البريئة، ثم قيام أميرالمؤمنين عليه السلام، بإطفاء الفتنة..

موقع العتبة العلوية المقدسة : www.imamali-a.com

موقع مكتبة الروضة الحيدرية : www.haydarya.com

رقم الاصدار (٨٩)